فتحى الابيارى

المرأة
الحب
الحياة

البحث الفائز بجائزة يوسف السباعى للنقد القصصى من المجلس الأعلى للثقافة

دراسة

ملاك ميخائيل



المشهرة برقم ٥٤٣/ ١٩٧٤



مطبوعات نادى القصة بالإسكندرية ● ٢٠٠٤ ●

المراسلات : ٥١ طريق الجيش ـ الابراهيمية (ت ٥٩٧٣٠٤٥)

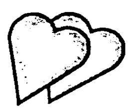
الاهـــــداء

• • • الى كل من يملك قلبا كبيراً يتسع لحب الناس جميعاً بغير تعصب ولا تمييز .

الى كل من يعيش للحب ، ويذوب فى العطاء من أجل الآخرين ويحب الخير والحق والجمال .

أهدى هذه الصفحات ، هدية شكر وعرفان ، راجياً ان يجد فيها قارؤها العزيز بستاناً للمحبة ، يقتضى فيه ومعها رحلة حب ، تسعده وتملأ أعماقه الطيبة بأجمل وأرق الأحاسيس وأروع الأحلام .

والى أستاذى الأديب (فتحى الابيارى) الذى شجعنى وأخذ بيدى وقوم خطواتى العرجاء على درب الأدب القصصى ، أقدم هذه الدراسة ، باقة حب واعتراف بالجميل ، وشكر وتقدير ، متمنياً له دائم الصحة والسعادة .



هـذه الدراسة



● فى البدء كان (الحب) . وبغير الحب يصبح الضياء ظلاما ، والحنان وحشية ، والبساتين الزاهرة صحارى قاحلة . . .

وللحب خلقت (المرأة) . وهذه المخلوقة الرقيقة الطيبة ، هى وردة بستان الحب . وهى رمز الخصوبة والعطاء والأمل فى الخلود والبقاء للإنسانية كلها . .

وبالحب جاءت (الحياة) وبه استمرت حتى الآن ، وسوف تستمر الى ما شاء لها الله . فالحب هو الذى احتضن بذرة الحياة ، ودفأها فى صدره الحنون ورواها من نبضاته المعطاة ، ورعاها بإهتمامه ، فنمت وترعرعت وأصبحت شجرة كبيرة ، تأتنس الدنيا بوجودها ، وتستظل بظلالها ، وتعشش طيور البهجة على أفنانها ، وتجد فيها المخلوقات كلها مأوى تأوى اليه ، وظلا تستظل به ، وثماراً طيبة تطعم منها وتعيش عليها . .

وعن (الحب) ، ذلك القلب الكبير الذى ينبض بالمشاعر والأحاسيس ، وشرايين وأوردة تجرى فيها الدماء الحية .

وعن (المرأة) وردة بستان الحب ، وسر استمرار الحياة ، وسبب سعادة الوجود كله . وعن (الحياة) بكل ما فيها من أفراح وأحزان ، وبكل ما تعطيه من ذكريات وأمنيات ، وبكل ما تمتلىء به من مشاعر وأفكار ، ومن ناس وأحداث ، ومن الخير والشر ، ومن تبر وتراب . عن (الحب) و (المرأة) و (الحياة) نحاول أن نقدم هذه الدراسة النقدية حول قصص الأديب الأستاذ (فتحى الابيارى) ولا يمكن أن نزعم بأن هذه الدراسة مهما كانت من الدقة والاجادة يمكن أن تعبر عن النبضات والمشاعر بالحروف والكلمات . وكل ما يمكن أن ندعيه عن هذه الدراسة هو أنها لا تزيد عن كونها مجرد محاولة للتلخيص وللتبسيط ، فالحب كالبحر ، والمرأة كالبستان ، والحياة هى البحر والبستان والأرض والسماء جميعها . ومن العبث أن ندعى بأننا نستطيع أن نضع ماء البحر فى الفنجان أو أن نلملم البستان لنضعه فى الزهرية ، أو أن نحيط الحياة بأى إطار لنجعل منها صورة محنطة فى البرواز . . لكننا هنا — فى هذه الدراسة النقدية — سنحاول أن نأخذ من (الحب) بضع قطرات ، وأن نقطف من بستان (المرأة) بضع وردات ، وأن نحصل من الحياة على بضع حكايات . آملين أن يوفقنا الله ، فتكون قطراتنا من (الحب) كافية لا عطائنا كل صفاته وسماته ، وتكون ورداتنا من بستان (المرأة) معبرة عن مشاعر وأفكار وأحلام كل النساء ، وتكون فى صور الحياة التى سنرسمها ملخصاً لكل ما فى بحر الحياة الزاخر من مياه عميقة وهادرة ، وأمواج هادئة وثائرة ، وأحداث عجيبة ومحيرة . .

ان هذه الدراسة النقدية مجرد محاولة نصبو من خلالها الى تحقيق هدفين ونرمى الى توضيح أمرين ، هما :

تقديم باقة ورد ، وصفحات شكر وعرفان للأديب الأستاذ (فتحى الابيارى) على كل ما قدمه من عطاء محب للأدب — ابداعاً وانتاجاً . وللأدباء الشبان — توجيها وتشجيعاً — على مدى ربع قرن من الزمان أو يزيد .

ثم رحلة حب نتعرف فيها على ما يمتلىء به بستان الأديب (فتحى الابيارى) من أشجار وأزهار ، ومن أغاريد وأطيار ، ومن حكايات وأخبار . . رحلة حب ، نتعرف فيها على (الحب) و (المرأة) و (الحياة) فى قصص (فتحى الابيارى) . . هذا الكاتب الأديب والفنان الذى يكتب بالحب ويدعو للحب ، ويعيش حياته كلها فى (قلب الحب) محاولاً أن يقول للناس (كلمة حلوة) يسعدون بها ويجعلون منها

(ترنيمة حب) تملأ حياتهم كلها بالحب والبهجة والسعادة التى تبقى معهم (بلا نهاية) .

وفى رحلتنا النقدية هذه مع (فتحى الابيارى) ، والتى نعترف بأن فيها من الحب أكثر مما فيها من النقد ، نستعرض الرؤية الابداعية التى يقدمها لنا (فتحى الابيارى) عن (الحب) : ما هو ؟

وما هى أهميته فى حياتنا ؟ وكيف نعرفه ؟ وكيف نصل اليه ؟ وكيف نسعد به ونستمتع بآلامه كما نتمتع بأحلامه ؟ . .

ثم نلتقى مع (المرأة) كما يراها (فتحى الابيارى) وكما يتمنى لها أن تكون . نلتقى بالمرأة الأم ، والزوجة ، والأخت ، والابنة ، والحبيبة . .

نلتقى بنماذج متعددة من أنواع النساء اللواتى رسم لنا (فتحى الابيارى) صوراً مجسمة ومعبرة عن كل نموذج منها . . ثم نختتم رحلتنا مع (الحياة) عند (فتحى الابيارى) ، ما هى ؟ وما هدفها ؟ ولماذا نحيا ؟ وما الهدف من هذه الرحلة الطويلة أو القصيرة التى نصارع فيها أنفسنا ونصارع الآخرين من أجل أشياء كثيرة ، هى فى حقيقة الأمر سراب وهباء ولا شىء . . ومن خلال منظار العالم القصصى الذى يرسمه لنا (فتحى الابيارى) سنرى وجهة نظره ورأيه فى (الحب) و (المرأة) و (الحياة) . وحتى تكتمل معرفتنا بالاديب المبدع فتحى الابيارى فإن من الافضل أن نتعرف على الانسان والرجل (فتحى الابيارى) . ولذلك يجب أن نلتقى بـ (فتحى الابيارى) كشخص يعيش بيننا ، ويسعى الى رزقه ، ويصارع من أجل أهدافه الحياتية ، ويحلم ويتعامل مع المستقبل من خلال أمنياته ويستعيد تاريخ حياته مع استرجاع لذكريات ماضية .

وبعد أن نلتقى بـ (فتحى الابيارى) كرجل وصحفى ورب بيت وانسان يعيش حياته العادية كأى انسان عادى ، نتقابل مع (فتحى الابيارى) الأديب والمبدع لنعرف كيف شق طريقه فى دنيا الأدب ، منذ أن أمسك بالقلم وسطر أول صفحة كتبها من صفحات ابداعاته ، حتى وصل بنا ، ووصلنا معه الى ما قدمه لنا فى (رحلة خارج اللعبة) ، وهى آخر رواياته . . . وإذا تعرفنا على الرجل والانسان والأديب المبدع (فتحى الابيارى) ، فإننا سننجح فى الغوص الى أعماق بحار انتاجه ، وسنتمكن من الطيران والتحليق الى أعلى سماوات ابداعه ، منطلقين معه فى عالمه القصصى بأجنحة الخيال ، ونحلق مع نجوم أفكار بشعاعات الأحلام والآمال . .

وفى هذه الدراسة النقدية ، نستعرض معاً ، ما قدمه لنا (فتحى الابيارى) من آراء وأفكار عن (الحب) و (المرأة) و (الحب) ، من خلال بعض ما قدمه من ابداعات وقصص وروايات . .

ونبدأ رحلتنا النقدية والمحبة هذه مع (فتحى الابيارى) من خلال مجموعته القصصية الأولى التى طرق بها أبواب عالم الابداع الأدبى ، وقدم نفسه بها للقارىء العربى (عام ١٩٦٦) ، وهى مجموعته القصصية الأولى ، والتى كان عنوانها (بلا نهاية) . . وقد اخترنا أن نبدأ دراستنا هذه بمجموعة (بلا نهاية) لكى نعرف كيف بدأ (فتحى الابيارى) رحلته مع الابداع القصصى ، ولكى نتعرف على السمات التى تميزت بها الكتابات الأولى للأديب المبدع (فتحى الابيارى) .

ثم نقدم استعراضا مختصرا عن الحب والمرأة والحياة فى مجموعة (قصص قصيرة جدا) وهى المجموعة التى قدم بها (فتحى الابيارى) طريقة جديدة فى فن الكتابة القصصية ، وحقق عن طريقها سبقا أدبيا رائدا يجب أن يسجل له على خريطة الأدب العربى . . .

وقد نشرت مجموعة (قصص قصيرة جدا) عام (١٩٧٢) ، أى بعد ست سنوات كاملة من نشر المجموعة الأولى (بلا نهاية) . . .

وبعد (بلا نهاية) أولى المجموعات القصصية التى قدم بها (فتحى الابيارى) نفسه للقارىء العربى ، وبعد (قصص قصيرة جدا) ثانية المجموعات القصصية والتى حقق بها (فتحى الابيارى) خطوة رائدة وسباقة على طريق الابداعات القصصية العربية ، نقدم رؤية نقدية لأخر روايات الإديب (فتحى الابيارى) ، وهى روايته (رحلة خارج اللعبة) . . .

وهى الرواية التى وصفها مؤلفها بأنها (رواية فى أقاصيص) ، ومن خلال دراستنا النقدية لهذه الرواية أن نعرف مالها من مكانة ريادية ومتميزة على خريطة الأدب العربى ، بموضوعها التأملى من جهة ، وبشكل كتابتها القليل أو النادر التكرار من جهة أخرى . . .

وبهذه الدراسة أتمنى من الله ان اكون قد وفقت فى القاء بعض الضوء على القليل من الانتاج الغزير للأديب (فتحى الابيارى) ، وأحد الأدباء الكثيرين الذين ظلمهم النقاد ، أو ظلمهم عدم وجود النقاد الذين يتابعون ابداعات الأدباء الغزيرة والمستمرة . . لعلنى بذلك اكون قد نجحت فى رد بعض الفضل ، وعبرت عن بعض

مشاعر الشكر والعرفان ، وسجلت صدق حبى وتقديرى للأستاذ الاديب (فتحى الابيارى) الذى أخذ بيدى وشجع خطواتى العرجاء على درب الأدب وعلى الطريق القصصى ، مع الكثيرين من الأدباء الشبان أبناء (نادى القصة بالاسكندرية) ، والذى كان له فضل إنشائه ، وكان له فضل استمرار ونجاح رسالته .. معترفا بأننى مهما قدمت من الشكر ومهما سجلت من العرفان ، فسأبقى مدينا له ولكثير من الأساتذة الاجلاء ما حييت . . .

فاذا كنت قد نجحت ، فالحمد الله الذى وفقنى ، ولم اكن لأوفق لولا أن ساعدنى الله . واذا لم انجح ، فالشكر لله الذى قوانى على ضعفى ، وشجعنى لنيل شرف المحاولة . . وفى كل الأحوال ، الحمد والشكر لله ، الذى وهبنا الأدب ، وسيلة للتعبير عن الحب وعن الشكر ، وعن التسليم له فى كل شىء فى حياتنا . . .

وعندما فكرت فى كتابة هذه الدراسة النقدية ، واخترت أن تكون حول الأعمال الابداعية للأديب الاستاذ (فتحى الأبيارى) . وجدتنى فى حيرة شديدة . . وحاصرتنى أسئلة كثيرة ، هل اكتب عن الواقعية والخيال فى قصص (فتحى الابيارى) ؟

هل أجعل دراستى عن البناء اللغوى فى قصص (فتحى الابيارى) ؟ هل يكون موضوع هذه الدراسة عن المجتمع المصرى الحديث ، والتغيرات الاجتماعية فى العالم القصصى عند (فتحى الابيارى) ؟ هل اهتم فى دراستى بقصص فتحى الابيارى) بين الفن الصحفى والفن القصصى ؟

مواضيع كثيرة ، وأفكار عديدة ، وعوالم فسيحة ، وجدتنى محتارا بينها ، ووجدتنى تائها فيها . . ثم استقر بى التفكير فى الكتابة عن (الحب والمرأة والحياة) . . وقلت لنفسى مبررا اختيارى فى هذا الموضوع وتحت هذا العنوان :

« . . . سأكتب عن الحب والمرأة والحياة فى قصص (فتحى الابيارى) لأننى بذلك قد أكون ألممت بالكثير من الجوانب المتعددة والمتنوعة التى يمكن تناول كل منها فى دراسة مستقلة . . فالكتابة عن الحب لابد أن تشتمل فى ثناياها على تناول الواقع والخيال ، والكتابة عن المرأة لابد ان تتناول من خلالها التغيرات الاجتماعية التى حدثت فى المجتمع المصرى على مدى الربع قرن الأخير . . وأخيرا ، فان الكتابة عن الحياة فى عالم (فتحى الابيارى) القصصى ، لابد وأن نستعرض من خلالها تلك الفروق الكثيرة والواضحة بين الواقعية والخيال ، وبين ما يحدث فعلا وما يجب ان يحدث ، وبين الواقعية الصحفية والفنية القصصية ، فى قصص (فتحى

الابيارى) . . . ثم ولابد أننا سوف نتعرض تلقائيا لبعض الملاحظات اللغوية السريعة والتى قد تعن لنا فى أثناء رحلتنا النقدية هذه فى عالم (فتحى الابيارى) القصصى ، دون أن نقصد طبعا استكشاف هذه الملاحظات اللغوية ، لأن البناء والدراسة اللغوية والدراسة ليست من الأهداف الأساسية لهذه الدراسة . . .

وبالاضافة الى الحيرة التى عانيت منها وأنا أفكر فى الموضوع الذى يمكن أن أتناوله بالعرض والنقد والتحليل فى هذه الدراسة النقدية ، فقد عانيت أيضا فى تحديد ما أستعرضته من مجموعات قصص وروايات الاستاذ (فتحى الابيارى) ، وما لا استعرضه من انتاجه الابداعى الغزير والكثير والمتنوع فى مجالى القصة القصيرة والرواية . . وبعد أن ذهبت بى الحيرة كل مذهب ، وأخذنى التفكير كل مأخذ ، استقر بى على تناول بعض ابداعات الأديب الصحفى (فتحى الابيارى) ، وبحيث يكون ما استعرضه وأحلله وأدرسه وأنقده من ابداعه معبرا عن تاريخ تطوره الأدبى من ناحيته ، وكافيا للتدليل على ما نصل اليه وما يمكن أن نستخلصه من رأى فى ابداعاته وافادة من عطائه الوفير والمستمر . . . ومن هنا جاء تركيزى على تناول أهم أعماله الأدبية ، والتى هى فى رأى ــ الاعمال الآتية :

١ ــ بلا نهاية :

وهى أولى المجموعات القصصية والتى أصدرها الأستاذ (فتحى الابيارى) عام (١٩٦٦) . وقد احتوت المجموعة على عشر قصص قصيرة ، التقط المؤلف خيوطها من واقع الحياة التى يعيشها ، ونسج هذه الخيوط على (نول) فنه القصصى ، ليقدم لنا ذلك النسيج الذى نرى من خلاله حياتنا ، وحياة مجتمعنا كله . . .

٢ ــ قصص قصيرة جدا :

وكانت هذه ثانية المجموعات القصصية ، وقد اصدرها (فتحى الابيارى) عام (١٩٧٢) ، أى بعد ست سنوات كاملة من صدور مجموعته الأولى (بلا نهاية) .

ورغم كونها المجموعة الثانية ، الا انه قد حاول بها أن يحقق سبقا أدبيا ، وأن يجعل خطوة رائدة يحفر بها اسمه على خريطة الحياة الادبية بحروف من نور . واعتقد أنه قد نجح فى الوصول الى هدفه ، بدليل ما كتبه عنها الأديب الكبير وشيخ القصة

القصيرة (محمود تيمور) عن هذه المجموعة فى السطور التالية :

(انها ومضات جياشة متوجهة ، تتوالى فى سرعة مذهلة . ومضات تتوافق مع الفن الجديد (فن القصة القصيرة جدا) . وهذا الفن وليد عصرنا الراهن ، عصر السرعة الضوئية ، عصر رحلات الفضاء ، وما كان لهذا العصر أن يمر دون أن يخلق من حوله كتابا جددا يستطيعون بروحهم الشابة والمتوثبة أن يعبروا عن روحه فى عملهم الفنى أصدق التعبير . . .

ولا شك فى ان الاستاذ (فتحى الابيارى) فى مجموعته تلك يمثل ذلك الطراز العصرى . . . وقد أعانه على ذلك أنه هو مثل حى يجمع خصائص عصره الحاضر . . وتلاحظ محاولاته الفنية والادبية ، فيروعك منه أنه طلاع الى الابتكار فى كل شىء . فى الشكل والموضوع ، فى الصيغة والمضمون . .) . . .

ويختتم شيخ القصة العربية (محمود تيمور) تقديره واعجابه بتلميذه النجيب (فتحى الابيارى) بشهادة يندر أن يحصل عليها سواه ، فيقول :

(وانى ــ شيخ عاش الشطر الأكبر من عمره فى عصر ما قبل الصواريخ ــ لأمد يدى محييا فى اعزاز أديبنا الشاب الذى استطاع أن يعكس فى فنه الأدبى طابع الدنيا الجديدة فى عصرنا المشهود) . . .

ولهذه اخترنا (قصص قصيرة جدا) لتكون أحد نقاط الاهتمام فى هذه الدراسة النقدية . . .

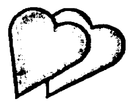
٣ ــ رحلة خارج اللعبة :

وبعد رحلتنا النقدية فى العالم الابداعى لــ (فتحى الابيارى) ، والذى تجولنا فيها مع قصصه القصيرة ، من خلال مجموعتى (بلا نهاية) و (قصص قصيرة جدا) ، ننتهى فى تجوالنا ونصل فى رحلتنا الى روايته (رحلة خارج اللعبة) ، والتى قدمها للقارىء على انها (رواية فى أقاصيص) مسجلا لنفسه بها نقطة سبق أخرى . ويحقق بها أيضا عملا ابداعيا رائدا ، حيث أنها عمل روائى من الاعمال المتميزة والرائدة من حيث الشكل الابداعى الذى اختاره لها به . . بل ونستطيع أن نزعم بأن هذه الرواية (رحلة خارج اللعبة) . من أولى الروايات التى قدمت بهذا الشكل الكتابى والابداعى على مستوى العالم كله واذ نقدم هذه الصفحات فانما نقدم باقة عرفان وتقدير وحب للاستاذ الأديب (فتحى الابيارى) احد الأدباء الذين ظلمهم النقاد

فلم يسلطوا الاضواء النقدية على أعمالهم ، آملين ان يوفقنا الله الى عرض ونقد وتحليل المزيد من أعماله التى لم يتسع لها مجال هذه الدراسة ، وراجين ان يوفقنا الله أيضا فى تقديم المزيد من الدراسات النقدية عن العديد من الادباء الآخرين الذين لم يأخذوا حقهم من النقاد والدارسين ، وما اكثر هؤلاء الذين تناساهم النقاد وظلمهم الدارسون ؟

ومرحبا بالقارىء العزيز فى رحلة حب وأدب ودراسة ونقد ، مع الحب والمرأة والحياة فى عالم (فتحى الابيارى) القصصى . . .

ملاك ميخائيل



عالم فتحي الإبياري

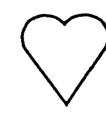
تختلف المدارس النقدية فى مدى اهتمامها بمعرفة وتتبع حياة الأديب ، ودراسة البيئة التى نشأ بها وعاش فيها ، والالمام بظروف الكاتب العائلية وعلاقاته الاجتماعية وارتباطاته العاطفية ، وغيرها من العوامل المختلفة التى تشترك معا فى تكوينه العقلى وتشكيل معارفه وثقافته . وبالرغم من اختلاف المدارس النقدية على درجة تأثير هذه العوامل العائلية والاجتماعية على خلق الأديب والمبدع ، الا أنها تكاد تشترك كلها فى الاعتراف بالدور الهام والكبير الذى تلعبه هذه العوامل فى حياة المبدع كأديب ، وتتفق ــ أو تكاد ــ على عمق تأثير هذه العوامل على ابداعات الكاتب فى جميع صورها ، ومهما تنوعت اشكالها التعبيرية من قصة أو قصيدة أو حتى مجموعة من المقالات الصغيرة المتفرقة .

وانطلاقا من وجهة النظر النقدية هذه ، وايمانا بسلامة وصحة رأيها ورؤيتها ، وثقة فيما تقدمه من احكام وتوصلنا اليه من نتائج ، فاننا نحاول فى الصفحات التالية أن نلتقى بالانسان الرجل (فتحى الابيارى) لنتعرف به ونعرف قصة حياته وظروف نشأته ومصادر ثقافته التى لابد ستساعدنا كثيرا على الالمام بأسراره الابداعية الكامنة وراء كل كلمة يخطها قلمه



(الأديب) ، ثم لابد لنا أيضا من لقاء آخر مع الأديب والكاتب (فتحى الابيارى) نصحبه فيه على درب رحلته الطويلة المليئة الأشواك والورود ، بالدموع والابتسامات ، بالأمل والعمل على طريق الصحافة والفكر والأدب . ثم نحاول أخيرا تقييم نتائج هذه الرحلة الشاقة والممتعة لاكتشاف مدى ما حققه فيها (فتحى الابيارى) من اثراء للحياة من حوله بعطائه الابداعى الذى قدمه قلمه المبدع على مدى ربع قرن أو يزيد من الزمان .

ولد (فتحى الابيارى) بمدينة الاسكندرية ، وفى حى سيدى جابر على وجه التحديد ، وذلك فى اليوم الثالث من شهر اغسطس من عام (١٩٣٤) . وكان والده أستاذا بكلية الهندسة ، ووالدته ربة بيت . وكانت أسرته كبيرة العدد ، اذ كانت تضم تسعة من الأخوة والأخوات بالاضافة الى والديه وجدته لأمه . ورغم ظروفه العائلية الصعبة ، بسبب كثرة عدد أفراد أسرته من ناحية ، وبسبب هجر أبوه للمنزل وزواجه بأخرى من ناحية ثانية ، وبسبب ما نتج عن كل ذلك من ظروف اقتصادية سيئة من ناحية ثالثة ، رغم كل ذلك ــ واصل مشواره التعليمى بنجاح واجتاز مراحل دراسته المختلفة بتفوق حتى تخرج من كلية الآداب عام (١٩٥٧) . وبعد حصوله على (ليسانس الآداب ــ قسم اللغة العربية) كان لابد له من الالتحاق بعمل يوفر له دخلا كافيا يساعد أمه على مواجهة أعباء الحياة ومتطلباتها المتزايدة . وعرضت عليه الفرص الكثيرة للالتحاق بأعمال توفر له الدخل الكبير والمستمر ، كالتدريس أو العمل بمصلحة الجمارك والمنائر المصرية ، لكن حبه للصحافة وللادب ، ذلك الحب الذى كان يجرى فى عروقه وينبض به قلبه ، جعله يحس ويصمم على أنه اذا لم يعمل بالصحافة فلن يلتحق بأى عمل آخر ولن يكون شيئا على الاطلاق . ومن هنا أصر على تحقيق حلمه الكبير ، وسعى سعياده وباحتى يصل الى هدفه العظيم ، والتحق بالعمل كصحفى تحت التمرين فى



جريدة (الشعب) ، وبعد عامين كاملين من العمل الصحفى الشاق ، والذى لم يعد عليه بأى مقابل مادى ولم يحصل منه على أى دخل ، أحس بالألم يكاد أن يقتله وهو يرى كتاباته الصحفية تنشر دون أن يوضع عليها اسمه الذى يعتز به ، بل وقد يوضع عليها اسم غيره ممن لم يتعب فى كتابتها . لذلك لم تكد الفرصة تسنح له حتى انتقل الى جريدة (المساء) ثم الى جريدة (الاخبار) ، وهناك استمر يكافح ويجتهد حتى تحقق أمله ونشر أول مقال يحمل اسمه فى جريدة (الأخبار) عام ١٩٦٠) وكان حملة صحفية لأنقاذ طالب جامعى من العمى . . بعد ان أصيب فى مباراة للهوكى . ونجحت حملته ، وسافر الطالب الى ألمانيا للعلاج .

وفى أثناء مشوار كفاحه الطويل والمرهق ، والذى كان يحاول أن يحقق أحلامه الصحفية والادبية ، والتى كان مستعدا للتضحية بحياته كلها فى سبيل تحقيقها ، كان يدور كالنحلة أيضا لكى يوفر لنفسه ولأمه دخلا معقولا يحقق لهما مستوى معيشى مناسب ، وهذا الهدف الثانى اضطره للعمل كمدرس فى بعض المدارس الخاصة أحيانا أو اعطاء بعض الدروس الخصوصية لمجموعات من الطلبة فى أحيان أخرى ، كل ذلك فى مقابل لم يكن يتجاوز الجنيهات العشرة فى أحسن الظروف . . . ثم التحق بالعمل فى مكتب « اخبار اليوم » بالاسكندرية عام ٥٩ . الى أن انتدب للعمل فى « اخبار اليوم » بالقاهرة ٦ يوليو ١٩٦٩ . وكان ذلك انعطافة حادة فى حياته الصحفية والأدبية .

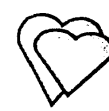
وفى اليوم الثالث من شهر أغسطس عام (١٩٦١) . — وأرجو أن يلاحظ القارىء اللبيب تكرار تاريخ الثالث من أغسطس كثيرا جدا فى حياة أديبنا الاستاذ (فتحى الابيارى) — فى ذلك الوقت حصل على درجة





الماجستير فى العلوم السياسية بتقدير ممتاز تحت اشراف الدكتور محمد عبد المعز نصر عميد كلية الآداب . وكانت رسالته الأولى من نوعها عن « الصحافة الاقليمية والرأى العام وأثرهما فى التنظيم السياسى » .

وفى عام (١٩٧٦) انتقل للعمل فى مجلة (اكتوبر) وأصبح نائبا لرئيس تحريرها الكاتب الكبير الاستاذ (أنيس منصور) ، ثم أصدر مجلة متخصصة هى مجلة (عالم القصة) التى صدرت عن نادى القصة بالاسكندرية فى أغسطس ١٩٧٩ ، وانتخب أمينا عاما لصحافة المستقبل بمؤتمر الصحافة الاقليمية (١٩٨٥) . وتولى رئاسة تحرير مجلة « أمواج » التى يصدرها مجلس الثقافة بالاسكندرية ولابد أن القارىء العزيز قد لاحظ ذلك التداخل العجيب بين خيوط نسيج ثوب حياة (فتحى الابيارى) ، والذى فشلنا بسببه فى الفصل تماما بين حياته كإنسان ونجاحه كصحفى وأديب ، وحتى أننا ونحن نستعرض قصة حياته لم نستطع الا أن نذكر رحلته الطويلة والناجحة فى بلاط الجلالة ، ولكن الاستغراب يزول اذا تذكرنا أن الصحافة والادب يشكلان نبضة القلب ونني العين وسر الحياة عند الابيارى ومن هنا تأتى صعوبة الفصل بين الحياة الخاصة جدا للانسان (فتحى الابيارى) وبين الحياة الادبية والصحفية للأديب (فتحى الابيارى) ، وليس ما نحاوله من فصل بينه وكونه كأديب الا مجرد خداع لغوى ، كل ما قد توصلنا اليه هو ترتيب الكلام وتنظيم الانغام .





□ قدم (فتحى الابيارى) نفسه الى عالم الأدب فى عام (١٩٥١) ، عندما نشر أول قصة له باسم (التضحية) فى مجلة (صوت الطلبة) التى كانت تصدرها مدرسة العباسية الثانوية للبنين بالاسكندرية . ثم نشر قصته الثانية (آمال) عام (١٩٥٥) والتى صور فيها الحياة الجامعية والعلاقة بين الطلبة ، مما جعلها مثار اهتمام وتعليقات الوسط الجامعى والصحافة أيضا . ثم توالى عطاؤه الأدبى بعد ذلك ، سواء على شكل الكتب التى أصدرها أو بالأعمال الاذاعية التى أعدها وقدمها ، والتى كانت تمثيلية (بنت الشيطان) و (أم سحلول) من أولى التمثيليات التى أعدها عن قصص محمود تيمور وقدمتها اذاعة الاسكندرية عام (١٩٦٠) . وبالاضافة الى ابداعاته الأدبية الكثيرة والمتنوعة ، فانه لم يبخل على الادباء الشباب بالرعاية والاهتمام ، فنجح فى انشاء (نادى القصة بالاسكندرية) عام (١٩٦٠) وأصدر مجلة (عالم القصة) عام (١٩٧٩) ،وكتب عن (نبضات القلوب وأدباء الاقاليم) ، واهتم باعطاء حبه الحقيقى واهتمامه الصادق ورعايته الأبوية لكل شاب صاحب موهبة أدبية حقيقية ، وقد يعوزنى المجال ويعجزنى الجهد اذا حاولت ذكر الاسماء الكثيرة من الادباء الشبان ــ وخصوصا الذين هم من خارج القاهرة ــ الذين اكتشفهم وقدمهم ورعاهم نادى القصة بالاسكندرية ، وأصبحوا

اليوم من أحسن وأشهر كتاب القصة فى مصر كلها ، لكن الحق يلزمنى أيضا بالاعتراف هنا بفضل نادى القصة بالاسكندرية على شخصى الصغير بنفسه والكبير بحب ورعاية واهتمام النادى العظيم الذى يرأسه ويديره (فتحى الابيارى) بكل النشاط والاخلاص ، وبما يعجز القلم عن وصفه وتفصيله . . . .

ومادمنا فى مجال الحد ث عن (فتحى الابيارى) الاديب المبدع ، فلابد أن نلتقى به وأن تغوص الى أعماق عالمه الادبى الرحيب ، لكى نستكشف جواهر الحب ولآلىء الفكر التى يذخر بها قلبه الكبير . .

بعد جلسة طويلة ، تعرفت فيها على الحياة الشخصية والخاصة جدا للانسان (فتحى الابيارى) ، حاولت أن أنتهز الفرصة فافتح نافذة أخرى تتيح للقارىء الاطلال منها على فكر وأدب الاديب (فتحى الابيارى) . لكن يبدو أنه كان قد تعب وأرهق بعد ان استرجع واستعرض معى مشوار حياته المثير والمشرف والممتد الى الكثير من نصف قرن ، وذلك فى أقل من ثلاث ساعات تقريبا ، تذكر وحكى لى فيها كل ما يمكن أن يحكيه من مشواره الطويل والصعب مع أيام الألم والأمل ، وسنوات الكفاح والنجاح . . . وقد لخصت كل ذلك بقدر المستطاع فيما سبق وكتبته عن (فتحى الابيارى) الانسان والرجل .

أقول بأننى كنت حريصا على الدخول الى عالم الابداع ، أو الجانب الابداعى عن أعماق (فتحى الابيارى) ، لكنه للارهاق الذى لابد قد شعر به ، بعد جلسة الذكريات والاعترافات الطويلة والمرهقة والتى أمتعنى بها وأفادنى كثيرا وهو يرويها لى بكل الصدق والبساطة ، ــ لعله للارهاق ــ أو لاسباب أخرى قد لا أكون استنتجتها ، لم يسمح لى بالغوص فى اعماق بحار أسراره الابداعية . وبعد أن قرأ بعض الأسئلة



التى كنت قد اعددتها له مسبقا وطلبت منه اجابته عليها ، ضحك ضحكته المميزة والنابعة من قلبه الطيب والمرتسمة حبا يلمع فى عينيه ، وقال لى :

ــ يا لك من طماع .. فبعد كل الذى قدمته لك من تاريخ حياتى ، وبعد كل الذى عرفته من أسرار عمرى وعملى وحبى ، وبعد الجيلى الذى أكلته وعصير البرتقال والشاى الذى شربته ، بعد كل هذا تريد أن تغوص فى أعماق أسرارى الابداعية ؟ !!

وسكت قليلا ، ثم أكمل قائــلا :

ــ لقد أرهقنى كثيرا ... ولا أظنك بقادر على الاستماع الى المزيد من الكلام ، عنى أو عن غيرى ؟ !!

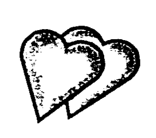
أحسست بالخوف يغمرنى من داخلى ، وخشيت أن أفشل فى الحصول على الجزء الهام الذى جئت للحصول عليه ، فقلت مبتسما ، ومحاولا أن أخفى بابتسامتى هذه خوفا عظيما :

ــ بل ومستعد للاستماع اليك حتى الصباح .. ان شئت ... نظر (فتحى الابيارى) الى ساعة يده ، وقال :

ــ ياه .. تعنى أن نجلس هكذا لمدة سبع ساعات أخرى ؟ ! لعلك أنت تستطيع ، لكن أنا شخصيا لا أستطيع .. بحكم السن على الأقل ... قلت له متوسلا :

ــ ولكن هذا الجزء من الحديث هام جدا ، وارجوك أن تتحمل ثلاث ساعات اخرى فى سبيل الأدب الذى وهبت له حياتك كلها .. ولابد ان هذه الكلمات قد لمست اوتار الحب الشفافة فى قلب (فتحى الابيارى) ، فقد ربت على كتفى بأبوية ملموسة وقال ضاحكا :

ــ لا تخف .. لن تخرج من عندى الا وقد أخذت منى كل ما تريده ... ولكى اختصر عليك الوقت وأريح نفسى من عناء جلسة أخرى طويلة ومرهقة لنا معا ، أرجو أن ترجع الى المجلد الثانى من مجلة (فصول) والذى صدر فى شهر يوليو من عام (١٩٨٢) وكان كله مخصص للقصة القصيرة



(اتجاهاتها وقضاياها) . . وستجد فيه كل ما اعتقد أنك تريد أن تعرفه عنى كأديب أو كاتب قصة . . . وقلت له محاولا أن أسأله :

ـ واذا . . . و . . .

قاطعنى على الفور وكأنه قد عرف بقية سؤالى :

ـ اذا لم يكن عندك هذا العدد من مجلة فصول ، فأخبرنى حتى أرسل لك صورة مما كتب فيه عنى . . . . .

وعدت أحاول أن أسأله :

ـ واذا . . . و . . . .

وقاطعنى بسرعة قائلا :

ـ اذا كان عندك هذا العدد ، ولم تجد فيه كل ما تريد أن تعرفة ، فأهلا بك ومرحبا فى اى وقت تشاء ، تعالى وستجدنى فى انتظارك ، سعيد بلقائك ومستعد للاجابة عن كل اسئلتك . . . . .

ولم اجد بدا من ترك الانسان الاستاذ الصديق (فتحى الابيارى) ، وغادرت صومعته وأنا استرجع فى عقلى وأتصور بخيالى مشوار حياته الطويل والشاق والناجح ايضا ، ولم أملك عندئذ الا أن ادعو الله له بالصحة والسعادة والتوفيق الدائم . . . .

ووصلت الى منزلى ، واسرعت الى مكتبتى ، وأخرجت مجلدات مجلة (فصول) التى احتفظ بكل أعدادها ، وامسكت بالعدد الذى حدده لى (فتحى الابيارى) ، وفتحت صحفة (٢٩٨) فوجدته هناك ، وجدت صورة بسيطة ومركزة للقاص والمبدع (فتحى الابيارى) الذى قدمت المجلة استعراضا ممتعا ومفيدا لتجربته الابداعية فى مجال القصة القصيرة ، انقله فيما يلى للقارىء العزيز ، ملتزما فى نقله بواجب الامانه الادبية التى التزم بها فى هذه الدراسة



س (١) : من هم كتاب القصة القصيرة الذين قرات لهم قبل ان تكتب انت هذا الفن الادبى ؟

ج (١) : تشعبت قراءاتى وأنا فى المرحلة الثانوية ، فقرأت (هوجو) و (موباسان) و (جوركى) و (تشيكوف) . وأعجبت بقصص (محمود تيمور) وخاصة (كل عام وانتم) و (جون شتاينبك) أيضا .

س (٢) : ما الذى لفت نظرك للاهتمام بالقصة القصيرة ، وكيف بدأت تجاربك الاولى فى كتابتها ؟!

ج (٢) : كنت أطالع الروايات الطويلة ، وعندما اتجهت الى قراءة القصص القصيرة فى بعض المجلات ، لفت انتباهى التركيز الشديد والمفاجآت التى تنتهى بها القصة القصيرة ، وذلك عند (او . هنرى) و (موباسان) . وقد بدأت تجاربى الاولى عندما كنت فى السنة الثالثة الثانوية ، فنشرت فى مجلة (صوت الطلبة) عام (١٩٥١) قصة وطنية بعنوان « دنشواى » وقصة بوليسية بعنوان (اللص الداهية) متأثرا بطبيعة الحال بقراءاتى لروايات أرسين لوبين وشرلوك هولمز .

س (٣) : هل قرأت شيئا عن أصول هذا الفن أو عن طريق كتابته ؟ !

ج (٣) : عندما نشرت محاولاتى الأولى لكتابة القصة القصيرة ، رأيت أن اتجه الى دراسة هذا الفن ، فقرأت كتاب (فن القصص) ل (محمود تيمور) ، وكنت معجبا به خاصة بعد دراستى لروايته (نداء المجهول) التى كانت مقررة علينا ونحن طلبة بالسنة الاولى الثانوية . وعندما التحقت بكلية الاداب بجامعة الاسكندرية ، كان مقررا علينا روايته (سلوى فى مهب الريح) فأعددت عنها بحثا نقديا حصلت به على درجة الامتياز ، لذلك قررت أن أطبعة فى كتيب وقمت بتوزيعة على زملائى الطلبة . وهذا الكتيب النقدى كان مفتاح الصداقة التى ربطت بينى وبين استاذنا الكبير (محمود تيمور) واستمرت لاكثر من خمسة وعشرين عاما ، أصدرت خلالها ثلاثة كتب نقدية عن القصة القصيرة والرواية عند (تيمور) .



وكانت هذه الدراسات دافعا لى لكى اغوص فى اسرار هذا الفن القصصى والاتجاهات النقدية العالمية له (الامريكية ، الانجليزية ، الفرنسية) لكى تكون سندى فى التصدى لاعمال رائد القصة العربية بلا منازع . . . . .

س (٤) : ما الذى يجعلك تختار القصة القصيرة كمجال للكتابة ؟ هل يتعلق الامر بحالتك النفسية او بطبيعة الموضوع او امكانيات النشر ؟ !

ج (٤) : من خلال قراءاتى المتواصلة لمعظم الكتاب الذين تأثر بهم (محمود تيمور) ، مثل (موباسان) و (تشيكوف) ، ازداد تعلقى بهذا الفن التعبيرى الادبى ، وقد ساعدنى ذلك أيضا فى مهنتى الاساسية (الصحافة) ، ووجدت القصة هوى فى نفسى وساعدتنى على التعبير عن بعض القضايا الانسانية التى يعجز المقال الصحفى ان يصل بها للراى العام . . . .

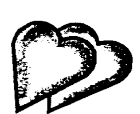
س (٥) : ما الذى تهدف القصة القصيرة عندك الى توصيلة للقارىء ؟ ! وهل تتمثل قارئك وانت تكتب ؟ ومن هو قارئك والذى تتصورة ؟

ج (٥) : مختلف الاقاصيص التى كتبتها كانت تهدف لالقاء الضوء على أعماق النفس البشرية وتصوير الحب فى اسمى صورة ، لأنه الرباط الوثيق الذى ينمى العلاقات الانسانية

وأنت تستطيع أن تشترى أى شىء فى العالم الا الحب ، لأنه قدر وطوفان تصاب به القلوب العاشقة .

وعندما اكتب لا أتمثل أمامى أى قارىء ، لاننى اكون فى لحظة اندماج وانفعال محاولا التعبير عن البركان الذى يجيش فى صدرى إزاء موقف أو شخصية أو تجربة من التجارب الانفعالية

س (٦) : ما هو الزمن الذى تستغرقة كتابتك لاحدى القصص القصيرة ؟ وهل تواجه بعض الصعوبات أثناء الكتابة ؟ مثل ماذا ؟



ج (٦) : ليس هناك زمن معين تستغرقة القصة القصيرة

عندى ، فقد تستغرق كتابة أقصوصة مايقرب من شهر . ولم أستطع الانتهاء من كتابة اقصوصة فى جلسة واحدة لأننى عندما أجد القلم عاجزا عن نقل أحاسيسى أتوقف عن الكتابة فورا .

س (٧) : هل استطعت من خلال ممارستك لكتابة القصة القصيرة أن تستخلص لنفسك بعض العناصر الحرفية التى تسعفك عند الكتابة ؟ مثل ماذا ؟ !

ج (٧) : نظرة على ماكتبته من أقاصيص ، أستطيع أن ألمح بأننى قد تميزت ببعض العناصر الحرفية ، مثل الجملة القصيرة المفعمة بالتشبيهات والاستعارات والسخرية أحيانا ، والتى تكاد تحمل فى طياتها صورة كاملة للموقف أو معبرة عن ملامح الشخصية التى أصورها . وهناك أيضا الحوار القصير والمركز .

س (٨) : هل تهتم بأن يكون لكل قصة قصيرة تكتبها مغزى يشير للاوضاع الاجتماعية المعاصرة ؟

ج (٨) : عن اهتماماتى فى كل قصة ، فاننى لا أمسك القلم الا بعد أن أؤمن ايمانا كاملا بأننى أعالج وضعا اجتماعيا ، من اوضاع الحياة الاجتماعية المعاصرة .

س ٩ : كيف يكون مدخلك الى القصة القصيرة ؟ وهل تتجه باهتمامك الى الحدث أو الى الشخصية ؟

ج ٩ : احرص على أن يكون مدخلى الى القصة مشوقا ومثيرا للانتباه ، محاولا قدر الامكان أن أجذب اهتمام القارىء حتى اصحبه معى الى هذا العالم الجديد الذى اصوره له فى قصتى ، منتزعا اياه من دوامات الحياة اليومية الروتينية . وأنا اركز بكل جهدى على الحدث أولا ، ثم تأتى الشخصيات فى الدرجة التالية من اهتمامى عند كتابتى للقصة .



س ١٠ : هل تهتم بتعيين زمان ومكان أحداث قصتك أو تتركها بلا تعيين ؟

ج ١٠ : فى معظم أقاصيصى أجد نفسى مهتما بتعيين الزمان

الذى يؤثر بلا شك فى الشخصيات والاحداث ، وكذلك المكان الذى تتصارع فيه الشخصيات ، مثل الاماكن الاثرية التى تعتبر عندى شخصية .

س ١١ : هل ترى فيما كتبت من قصص قصيرة حتى الآن أنه يمثل مراحل تطور متعاقبة ؟ وكيف ترى نتيجة هذا التطور اذا كان حدث ؟

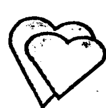
ج ١١ : فى مجموعاتى القصصية الست ، يتبين أننى قد مررت بعدة مراحل مختلفة .

ففى مجموعتى الاولى (بلا نهاية) اهتممت بمعالجة قضايا الانسان وصراعه مع قدره ، ويغلب على قصص هذه المجموعة الطابع الانسانى البحت ، بمعالجة بسيطة وأسلوب بسيط .

أما فى مجموعة (قصص قصيرة جدا) فقد تركز اهتمامى على أن تتناول الاقصوصة شريحة صغيرة جدا من المجتمع ، أو موقفا ، أو شخصية نمطية أحاول التعبير عنها فى ايجاز مرهق وصورة قصيرة بعيدة عن الاستطراد .

وفى مجموعة (ترنيمة حب) وغيرها ، حاولت المزج بين الصورة المعبرة عن الموقف والحوار المسرحى المركز ، مثبتا أن اللغة العربية العظيمة قادرة كل القدرة على أن تكون شاهدة على عصرها ، ومعبرة عن العصر بكل مافيه من سرعة مذهلة وانتصار للانسان على تحديات العصر ، وكيف وصل الانسان الى القمر .

لذلك كان من الضرورى أن يتوائم الفن القصصى مع نبض العصر ، فكتبت القصة القصيرة جدا تعبيرا عن نبض العصر ومشكلاته ، مستعينا باللغة المتطورة وبالحوار المسرحى القصير كما قلت ، واعلنت دعوتى هذه فى عدة مجلات باسم (نحو قصة قصيرة جدا) . . .



س ١٢ : اذا كنت انصرفت عن كتابة القصة القصيرة ، فمتى ؟ ولماذا ؟

ج ١٢ : لم انصرف عن كتابة القصة القصيرة ولكن فقدان المضمون فى هذه الأيام ومن واقع الحياة المعاصرة المضطربة ، وحيث نجد الانسان يتفنن فى سحق أخيه الانسان بأحدث آلات الدمار ، وخسة الصراع بين الأمم المتطاحنة من أجل الأوهام ، كل ذلك يجعل الأديب يقف مشلولا وعاجزا وحائرا أمام هذا المجنون (الانسان) ذلك المجهول العجيب . . .

س ١٣ : كيف ترى مستقبل القصة القصيرة كلون أدبى ؟

ج ١٣ : بالرغم من الاحداث التى يمر بها العالم ، من حروب قذرة ، وتأزم الانسان ازاء متطلبات الحياة ، أرى أن القصة القصيرة هى باقة الزهور التى تعيد للانسان كينونته بعد أن أصبح وحشا ضاريا يفتك بأخيه الانسان ، ولا يشم الآن الا رائحة الموت والبارود . . .

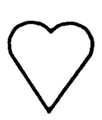
* * *

وبعد أن التقينا بالاديب القاص (فتحى الابيارى) ، وتعرفنا اليه من خلال الحوار السابق ، نستطيع ان نلخص أهم ملامحه الادبية وأهم مبادئه وأفكاره عن القصة وكتابتها فيما يلى :

١ ـ عدم اكتفاء الأديب باكتشاف موهبته الأدبية ، بل ضرورة اهتمامه بدراسة أصول الفن الأدبى الذى يحبه لصقل وتطوير موهبته . . .

٢ ـ ايمان الأديب بأن أهم رسالات الأدب والفن هى الدعوة للحب واستكشاف الأعماق المضيئة والخيرة فى النفس البشرية . . .

٣ ـ اهتمام الاديب بالتوصل الى أسرار حرفيات الكتابة القصصية من خلال قراءاته المتشعبة من جهة ، واستمراره فى الكتابة من جهة أخرى . . .



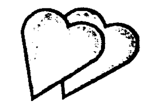
٤ ـ الاهتمام بعمل بداية قوية للقصة ، مع أهمية تعيين زمان ومكان القصة ، لأن الزمان والمكان ضروريان لتحديد عصر أو

زمن وقوع أحداث القصة ، وكذلك توضيح البيئة التى تجرى فيها هذه الاحداث .

٥ ـ اهتمام الاديب باستكشاف طرق جديدة لكتابة القصة ، حتى يمكنها مجاراة المتغيرات العلمية والاجتماعية الرهيبة والسريعة والكثيرة التى تغير شكل الحياة وأساليبها فى كل لحظة على امتداد العالم كله . . .

وفى الصفحات التالية نحاول أن نرى أثر حياة وثقافة وتجارب (فتحى الابيارى) على أعماله الأدبية وابداعاته المختلفة ، وذلك لكى نرى التطبيق العملى للافكار النظرية التى ناقشناها وعرضنا لها فى الصفحات السابقة . . .

* *
*



بلا نهاية

●● في عام (١٩٦٦) طرق الأديب (فتحى الابيارى) باب الحياة الأدبية فى مصر ، مقدما نفسة للقارىء العربى من خلال مجموعتة القصصية الأولى والتى أسماها (بلا نهاية) . . وكأنه يقصد أن يقول للقارىء بأن هذه خطوتة الاولى على درب الابداع ، وهى بداية عطاء أدبى وفكرى مستمر وغزير باذن الله ، والى ما لا نهاية) . . وقد كان عنوان مجموعته القصصية الاولى بهذا المعنى ، موقفا غاية التوفيق ، اذ واصل (فتحى الابيارى) رحلته القصصية لاكثر من ربع قرن مضى ، والى ما شاء الله له من العطاء والتوفيق الممتع والمفيد باذن الله . .

وتحتوى مجموعة (بلا نهاية) على عشر قصص قصيرة ، يستعرض فيها الأديب (فتحى الابيارى) آراءه فى الحياة التى نعيشها من خلال عرضه لعدد من الشخصيات المختلفة والأحداث المتنوعة التى يلتقط صورها من الواقع وينسج خيوطها على نول الخيال . . .

وفى الصفحات التالية نتناول بالعرض والدارسة والنقد والتحليل ما قدمته المجموعة من نماذج متنوعة للحب ، وما صورته لنا قصصها عن المرأة ، وما عرضته لنا من با نوراما الحياة على المستوى العام حيث تناولت الحياة الانسانية على الكرة الارضية من ناحية ، وعلى المستوى الخاص والفردى عندما استعرضت معنا وعرضت لنا الحياة من خلال بعض الشخصيات المحددة . . وهكذا نلتزم بموضوع دراستنا النقدية هذه ، ونتناول الحب والمرأة والحياة فى المجموعة القصصية (بلا نهاية) . .



**

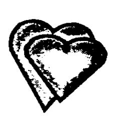
الحب :

تبدأ رحلتنا مع الحب فى قصص (بلا نهاية) بتلك اللمحة من الحب البنوى الصادق والدائم ، حيث نرى الابناء المخلصين كلهم وقد أحاطوا بأبيهم المريض الذى كان راقدا على ذلك السرير فى احد المستشفيات وهو يلفظ أنفاسة الأخيرة ، مودعا اياهم ومودعا الحياة كلها . . وهكذا تبدأ قصة (الضيف والحمقى) أولى قصص المجموعة بهذه الصورة التى يرسم فيها (فتحى الابيارى) لوحة حية رغم ما يكمن فى ثناياها من (الموت) .

(احاط الأبناء بسرير أبيهم فى الحجرة رقم (١٢٨) ذات صباح بمستشفى المواساة بالاسكندرية ، والدموع تفيض من مآقيهم . والاب ممدد على السرير يتململ ، وذراعه الأيمن ممدود وقد غرست فيه إبرة نقل الدم . وذراعه الآخر ملقى فى تراخ على صدر ابنته الكبرى) . . . هذه هى العاطفة الأسرية التى تربط افراد كل أسرة معا ، بروابط الحب وأواصر الدم الواحد الذى يجرى فى عروقهم جمعيا . وتمتلىء قلوب الأبناء بالحب الذى يفيض من عيونهم دموعا تبلل جفاف الزمن وترطب من حرارة الأحزان التى تسيطر على مشاعرهم وتلون أفكارهم بالكوابيس السوداء . ثم تلك اللفتة الانسانية الرقيقة ، والتى قد تفوت على الكثيرين ممن يرون هذه اللوحة ، بسبب ما فيها من دموع تحجب الرؤية عن البعض ، أو بسبب ما بها من آلام ومواجع يضيع فى أناتها همس الحب الرقيق ، نقصد بها ذلك الذراع الذى ألقى به الأب المسكين مطمئنا على ابنته الكبرى ، وكلمة (الكبرى) هنا قد تجر أداة الاستفهام المعروفة بـ (لماذا) ، فتسأل : ولماذا حدد الاديب هذه الابنة فقال بأنها (الكبرى) ، ولم يقل (ابنته) فقط ، أو لم يقل ابنته (الصغرى) مثلا ؟

السؤال هنا منطقى ويفرض نفسة بعفوية واضحة ، ولكن اجابتة أيضا تكون معقولة وبديهية اذا قلنا بأن كلمة (كبرى) تجعل من ابنة الرجل المريض قريبة من أمه أو شبيهة بزوجته ، وهذه لمحة ذكاء من الكاتب يمكن أن تفوت غيره من الكتاب . . ويحاول الكاتب أن يوضح لنا أن الحب مهما كان صادقا وعظيما ، الا أن هناك أشياء قد يقف أمامها عاجزا لا يملك أن يفعل أو يمنع لها أو عنها قدرا محتوما . ويعرض لنا الأديب صورة الأب المريض وقد راح الطبيب يبحث من بين شرايينه وأوردته الرفيعة والتائهة تحت جلده ، عن وريد يغرس فيه ابرة المحقن حتى ينقل له الدم الذى قد يساعد على انقاذ حياته ، ويبين بايجاز ومؤثر عجز الابناء بكل محبتهم وصدق رغبتهم فى العطاء عن مساعدة الاب فى محنته : (وجاء الطبيب ليغرس ابرة نقل الدم فى وريد الاب وعبثا حاول الطبيب أن يعثر على الوريد . وظل الطبيب يشك الابرة مرة وثانية وثالثة . . . وبعد المحاولة العاشرة استطاع أن يغرس الابرة فى مكانها الملائم . بينما كان الابناء يحلقون بعيونهم الملأى بالدموع فى كل محاولة من محاولات غرس الابرة فى ذراع أبيهم . وكانت القشعريرة تمر فى أجسادهم كتيار من الكهرباء ، ومع ذلك وقفوا كالأصنام ، لا يستطيعون أن يساعدوا أباهم اكثر من هذا مع معركته الصامتة والعنيفة مع الضيف الثقيل الظل . حتى ابنه الذى سيتخرج طبيبا بعد سنة ، وقف هو الآخر كالمشلول ، لا يستطيع استخدام ماتعلمه فى الطب ليساعد أباه فى معركته) .

وبهذين السطرين الأخرين نصل الى قسوة المفارقة ، فها نحن نرى ان العالم إيضا ، متمثلا فى الابن الذى درس الطب حتى أوشك أن يتخرج طبيبا ، وقد عجز هو الآخر عن تقديم يد العون للاب المحتضر وكأن المؤلف هنا يؤكد أن إرادة الله ، ولحظة نهاية الأجل ، لا يمكن أن يعطلها ويؤجلها (العلم) بكل منجزاته العصرية المذهلة ، ولا يمكن أن تردها مشاعر (الحب) البنوى ومهما كان هذا الحب مخلصا وصادقا . .

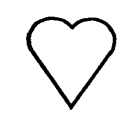


وحتى لواجتمع (الحب) والعلم معا ، كما فى شخصية الابن المحب ، والطبيب المتعلم ، فأنهما يعجزان عن صد إرادة القدر ، ومنع المكتوب والمحتوم عن الحدوث والوقوع فى موعده . . وهكذا يموت الأب بالرغم من إحاطة الأبناء به ، ورعاية الاطباء له ، وتكتمل صورة ذلك الحب الغريزى البسيط الذى يملأ قلوب الابناء ، عندما يموت الاب ، اذ تصبح أيامهم قاتمة وحياتهم مؤلمة :

(كان الضيف الثقيل الظل قد سبقهم ، وأخذ الأب معه الى رحلة باللورية طويلة ، وجحظت عيون الأبناء . لم يتصوروا أن يحدث هذا بسرعة ، واندفع ابن يقبل أباه ، بينما صرخت الفتيات . . وعندئذ اهتز البيت . . وأحس كل ابن ان فكره أصبح مشوشا . . وأن البيت أصبح قاتما) . .

(كانت صرخات الفتيات ، ودموع الابناء والمفاجأة التى شلت حركاتهم ، هى التى سيطرت على تلك اللحظات) . . .

وقد يكون قصد المؤلف من هذه المقاطع الاخيرة ، والتى اقتطعناها من القصة ، واثبتناها بنفس الفاظها التى اختارها لها (فتحى الابيارى) ، ـ قد يكون قصده ـ هو توضيح أثر فقد المحبوب على محبيه ، فموت الأب الذى كان مركز تجمع مشاعر الابناء كلهم ، جعل (افكارهم مشوشة) بمعنى ان ذلك الموت افقدهم عقولهم ، لان الموت كحدث غير منطقى وغير مبرر ، يجعل الاشياء كلها بوجوده غير منطقية وغير مفهومة الاسباب . وموت الأب ايضا ، جعل (البيت قاتما) ، لأن حبه لأبنائه وحب أبنائه له ، كان هو النور الذى يضىء البيت بمصابيح الألفة . . . وهكذا يصبح (الموت) كمعادل موضوعى لـ (فقدان الحب) أو (ضياع الأحباء) ، مدخلا طبيعيا للأحزان وللظلام ولفقدان القدرة على التفكير والادراك ، لأن (الموت) و (فقد الأحباب) كلاهما خارج عن حدود التفكير والادراك البشرى فى نطاق الملموس . . .

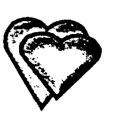


ثم ينتقل المؤلف من صورة الحب البنوى الصادق ، باطارها

الأسود الحزين ، ولعله يريد أن يقول ان الصدق والاخلاص فى عصرنا الحديث هذا لا يحيط بهما الا المتاعب والمصاعب والأحزان والدموع ، أو لعله لا يريد أن يقول ذلك ، وكل ما هناك أننا قد خيل الينا قصد هذا المعنى الذى لم يعنه ــ ينتقل بنا ــ فى قصته (من جديد) التى صورة أخرى للحب ، قد تكون غير واضحة المعالم ، وقد تكون غير كاملة ، لكنها صورة رقيقة ، نلمس فيها ذلك الحب اللامع البراق من خلال رسمه لأحذية العشاق والمحبين الجالسين فى حدائق الشلالات : (وذهب الى الشلالات ، ليبحث عن الاحذية القذرة ، ولكنه كان واهما . . فقد رأى الأحبة اثنين اثنين ، فى انسجام . ورأى أحذية المحبين نظيفة لامعة . . كالمرآة . .) . .

ولو أن الكاتب (كالمرايا) لكانت الكلمة أدق لغويا من قوله (كالمرآه) . وبصرف النظر عن هذه الملحوظة اللغوية ، فان التلميح الايمائى فى هذه الصورة جاء قويا ومعبرا ومثيرا للكثير من الافكار والمشاعر عند القارىء . وتبلغ هذه الصورة قمة روعتها بقول الكاتب : (ورأى أحذية المحبين نظيفة لامعة) . . .

فاذا كانت (الأحذية) التى هى مثار اهتمام بطل القصة ومصدر رزقة وهدف بحثه وامل حياته ــ اذا كانت ــ لامعة ونظيفة ، فاننا لو رفعنا عيوننا مع بطل القصة واستكملنا رؤيتنا للعشاق والمحبين الذين رآهم بطلنا جالسين فى حدائق الشلالات ، لرأيناهم مرتدين أجمل وأشيك وأغلى ماعندهم من ثياب . . . فهذه هى صورة الحب الرقيق والجميل والبراق ، وقد أحاطت به الخضرة والماء من كل جانب . . ورغم ذلك الجمال والحب ، يبقى الشقاء متمثلا فى ذلك الرجل ــ بطل القصة ــ الذى يتفرج على العشاق والمحبين دون أن يكون مثلهم . . . وفى قصة (سرير من ثلج) نرى كيف يكون (الحب) مسئولية لها تبعاتها ، وكيف أن (الحب) يحتاج للاستعداد :



(لقد عرف انه لن يستطيع التقدم لخطبة فاتن . ان واقعة الاقتصادى الحالى ، لا يمكنه من التقدم اليها) . .

وعن حب المراهقة ، وكيف أنه مجرد نزوات جسدية لا جذور لها ، نلتقى مع بطل قصة (ذلك الحيوان) . انه شاب أو صبى مراهق يتفق مع أحد أصدقائه ، فيرتبان معا لقضاء بعض الوقت مع احدى الساقطات فيرسلان جدته الى السينما ، ويأتيان با مرأة ليل ، وهى زوجة خائنة ، ويقضى معها صديقة وتره ، أما هو فتحميه من السقوط فى اللحظة الأخيرة إرادة الخير فيه ، واحساسه بانسانيته ، وعيون (بوس) تلك القطة التى يحبها ويلعب معها ، ثم تفكيره بأن جسد هذه المرأة مجرد (قطعة من اللحم العفن) :

(وأثناء عودتى لحجرة مكتبى ، التفت الى المرآة الكبيرة ، فلمحت ابتسامة خفيفة مرتسمة على وجهى . . وقد أضاءته أنوار الحقيقة التى كشفت أننى مازالت انسانا ، أتحرك بارادة ووعى . وصوت ذلك الحيوان المحبوس فى داخلى ، يخفت مختنقا رويدا ، رويدا . . .) .

وقد نجح الأديب فى تصوير السقوط وعدم الشرعية فى مثل هذا النوع الحيوانى من الحب ، باكثر من رمز وباكثر من صورة :

فهو (الحب) سفلى يمارسه أصحابه على الارض وليس فوق السرير . .

(سأنام معها أولا . . هل تسمح لى ؟
ــ كما تشاء . .
ــ أيـــــن ؟
ــ على أرض الحجرة المجاورة
ــ السرير ؟
ــ لا تقرب السرير ؟ انه نظيف . .
ــ ان المرأة نظيفة . .
ــ ولكن مهمتها قذرة . . .) .



وفى هذا الحوار يؤكد الكاتب على أن النظافة هى نظافة القلب والروح ، وليست نظافة الجسد ، وأن الطهارة المشاعر والنوايا ، وليست طهارة الشكل والمنظر . . فهذه المرأة قد تبدو جميلة ونظيفة من الخارج ، لكن الذى لا شك فيه ان نيتها وهدفها وعملها وأعماقها شديدة القذارة . . . وهو حب حيوانى ، تمارسه القطط ، والكلاب ، ولا يحتاج الى عقل ولا الى تفكير وتنساق اليه كل المخلوقات بلا ارادة وبلا وعى :
(صورة القططة التى تملأ درجات سلم المنزل فى اشهر معينة ، وتفرش كل درجة بمواثها المعهود (ناووو) . وتلك الوليمة التى يعقدها القطط حول قطة انحبست وسط دائرتهم . . . . أحسست اننى كنت منذ لحظة فى دائرة القطط انتظر دورى . .) . .

وهو حب لا يعيش الا فى الظلام ، وبعيدا عن الناس ، بعيدا عن زوج المرأة الذى قد يمثل الشرعية والحق ، وبعيدا عن الجدة التى قد تكون رمزا للاصالة والتقاليد المتوارثة . . . وهو حب مقزز ومثير للقرف وللاشمئزاز ، ويشعر من يمارسة بأنه ضئيل وتافه وخائف بل ويحس بعدم الرغبة الطبيعية فى ممارستة :
(وتسربت منفذ المقاومة رائحة الاشمئزاز الممزوجة بالخوف . والخوف من أن أعبث بشىء عبث به صديقى فأصاب بأمراض مختلفة ، والاشمئزاز من تلك اللحمة العفنة لقذارتها) . . .

ومن خلال قصص هذه المجموعة الاولى للمؤلف ، نتعرض على رأيه فى الحب وتعريفه له وايمانه به و تأكيده على أهميته :

فالحب قد ينتهى ولكن ذكرياته وحلاوته وأحلامه وآلامه لا يمكن أن تنتهى أبدا . والحب مخلوق مثالى بسيط ورقيق تحاصره قسوة الواقع ورقة الاحلام ، ويعيش ممزقا بين الحقيقة والوهم ، وبين المثالية والواقعية وبين ما يجب أن يقال وما يمكن أن يقال . والحب يموت إذا ماتت آمال الإنسان ، ويبقى إذا ما بقيت هذه الآمال .



والحب طفل صغير برىء يكبر وينمو ويقوى برعاية المحبين له ، ويموت اذا أهمله وهجره عشاقة . والحب صفح وعطف وحنان ، لأنه وردة صغيرة يقتلها العتاب والانتقام والقسوة . والحب عند الاباء والامهات له معنى واحد محدد وهدف واحد فقط هو الزواج الذى يجمع المحبين فى قفصه الذهبى ، وهو عند الآباء والأمهات (الذين يمثلون القيم الدينية والاجتماعية) عبث ولهو وحرام اذا لم يتوج بالزواج . وكلام الناس يقتل الحب ويغرق المحبين ، حتى لو كان هذا الكلام بهدف مصلحة المحبين أنفسهم . والحب كالشمس يحمل فى قلبه ويمنح للوجود كله الدفء والنور . . وأى لقاء بين أى شخصين لا معنى له بغير الحب ، فبانتهاء الحب وبدونه لا ضرورة لأى لقاء بين المحبين . . . والجمل التالية التى نعرضها من قصة (بلا نهاية) احدى قصص المجموعة ، والتى سمى الكاتب المجموعة كلها باسمها ، توضح كل ما ذكرناه فيما سبق :

(يا سلام . . الأيام تمر سريعا كومضة الشهاب . والانسان يتغير . ويتغيركل الناس حوله ، ولكن الأماكن تظل كما هى . . نفس الصخرة التى كنا نجلس عليها . . نفس المكان . . نفس المناظر . . هى هى ، منذ خمس سنوات) . . .

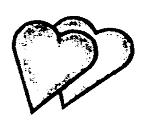
(وماتت معها أحلامها وأمنياتها وآمالها ومستقبلها . كانت تعيش بين الناس كالدمية ، لا إحساس فيها الا احساس الأموات) . .

(فكرت أن أعيش بقية عمرى للمولود الحبيب ، ولذكرياتى . لكن للأسف مات المولود . مات قبل أن أحقق أمالى . وفى اللحظة التى مات فيها المولود ، مات كل شىء . . ولم يبق لى الا الذكريات) -كل دقيقة كانت أمى تزن على أذنى وتقول لى ، يابنتى نفسى أراك عروسة . .

— الشمس راحت . . وكل شىء انتهى

— لتجلس قليلا

— لا داعى الآن . . كان زمان .



ومع عظيم تقديرنا لهذه القصة التى أمتعنا بها (فتحى الابيارى) ، فإن لنا عليها ملحوظة جديرة بالاهتمام ، ولكنها لا تقلل من حلاوة . تذوقنا الفن الجميل . وهذه المحلوظة

تتصل بثنائية قصة (بلانهاية) . ففى بداية القصة يكتب المؤلف قصته على لسان البطل نفسه ، فيقول :

(ياسلام . . وبعد خمس سنوات أعود وأجلس فى هذا المكان مرة ثانية . من يصدق ؟ أنا نفسى لا أكاد أصدق أن يحدث هذا) . .

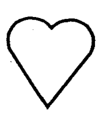
(مازالت الدهشة تهز الصورة الحقيقة أمام عينى) . . ولكنه بعد قليل يكتب قصته على لسان راوية آخر ، يحكى القصة ليس كما لو كان بطلها ، ولكن كشخص آخر يرى ويصف ويكتب ، فيقول :

(وتلاشت صور الناس من عينى عادل ، وهو يتطلع الى أمال . . .) . . . (ووقف) ، (ونظر) ، (ورفع) ، (وقال لها) . . .

وفى رأينا أن ذلك الانتقال الفجائى والغير مبرر فنيا أو قصصيا من ضمير المتكلم الى ضمير الغائب ، أو من كلام البطل عن نفسه الى كلام الراوى عن غيره ، قد أضعف بداية القصة . . وكنا نود لو كان الأديب الاستاذ (فتحى الابيارى) قد أعاد النظر فى هذه القصة التى تعتبر علامة تاريخية على طريق حياته الأدبية ، وأصلح ما نظن أنه عيب فيها مخل لسياقها . . . وهو مجرد رأى أدبينا الكبير أن يدرسه ويتمعن فيه ليقرر ما اذا كان سيأخذ به أو كان سيهمله . . ولا يفوتنا أن نذكر القارىء طبعا بأن هذه القصة هى من البدايات الأولى لكاتبنا المبدع ، والشىء بالشىء يذكر . . .

وفى قصة (بوسى) نعرف أن الحب هو سر بقائنا فى الحياة وسر تمسكنا بها أيضا . فعندما تقرر أم بطل القصة أن تطرد (بوسى) ، يقرر البطل أن يغادر المنزل ولا يعود اليه هو الآخر :

(وأثار هروبها غيظ والدتى وحنقها . وأصرت على طردها عندما تمسكها . وحين رأيت الحكاية تأخذ شكلا جديا ، قررت بدورى أننى لن أعود الى المنزل اذا طردت صاحبتى) . . .



ونعرف أن الحب مشاركة ، وعاطفة غريزية طبيعية بسيطة :
(وكانت بوسى تشاركنى مذاكرتى خير مشاركة) . . . (وكانت بوسى تتسلق صدرى ، ثم تقرب أنفها من أنفى وتقبلنى) . . . (وكانت بوسى تلازمنى اينما تحركت فى المنزل . وشعرت بأنها بدأت تحتل مكانها فى حياتى) . . . والحب العاقل الرزين الذى تمثله (أمه) ، لا يقبل بوجود الحب اللاهى والعابث الذى نراه فى قطته (بوسى) فستطردها :
(وفى اليوم التالى ، عندما عدت الى المنزل أطلقت صفيرى المعتاد ، ولكن والدتى كانت هى التى واجهتنى بما حدث ، وأرشدتنى الى حلة الاكل المقلوبة ، وقد اختفت منها جميع قطع اللحم . . فعلمت أن بوسى قد طردت) . . .
والحب الحقيقى والصادق ، يغفر ويتحمل ويعطى ويضحى ، وهذا هو ما نراه فى قصة (ومازال يبحث) . و (مراد) بطل القصة يعرف كل شيء عن حياة (سوسو) وماضيها والشاب الذى أحبته قبل أن تلتقى به ، ويعرف أنها مازالت تحمل بعض الحب لذلك الشاب الذى أهان كرامتها وأهان انوثتها . . لكنه بالرغم من كل ذلك يحاول أن يقنعها بانه مصمم على الزواج بها ، ولما يفشل فى محاولته ، يبحث عمن يستمع اليه ويشاركه أحزان وحدته ، فيكشتف أن الجميع مشغولين عنه بأنفسهم وبأعمالهم . . ويبحث عمن يحادثه فلا يجد أحدا يصغى اليه :
فقام ليبحث عمن يستمع اليه ليحكى له ما حدث بالأمس . . وظل يبحث . . . ويبحث ومازال يبحث . .) . . .
وفى جملة (ومازال يبحث) ، والتى اختارها المؤلف عنوانا لقصته . ايماء مؤلم واشارة موجعة الى فشل الانسان فى العثور على من يشاركه آلامه واحلامه ، وفشل الانسان فى التوصل لانسان يعطيه سمعه وقلبة ، ويشاركه بمشاعره ويفكر معه للتوصل الى حل ينتهى بها مشاكله ويتخلص به متاعب ، وخلاصة كل هذا الكلام هو فشل الانسان فى العثور على الحب الحقيقى المشارك والمخفف المتاعب الحياة . . .

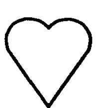


ونعتقد باننا اليوم ــ فى يوليو ١٩٨٥ ــ نستطيع ان نقول بأن جملة (ومازال يبحث) قد تكون صحيحة تماما فى وقت كتابتها ، او حتى لحظة قراءتها ، لكننا نتمنى الا تكون كذلك الى الابد ونرجو ان يكون الانسان (مراد) بطل القصة قد وفق فى التعرف على صديق محب يستمع اليه و يخفف عنه ويساعده . . . خصوصا وانه مستمر فى البحث عن ذلك الصديق المحب والمخلص منذ عام (١٩٦٦) أى منذ ما يقرب عن عشرين عاما ما مضت . . واذا لم يك قد وصل لما يرمى اليه ، ولم يك قد وجد مايبحث فبئس الحياة كلها اذن . . .

وفى قصة (تحت التمرين) يبين لنا المؤلف كيف أن المادية تقتل الحب ، وان النقود تطفىء شمعة العاطفة فيقول : ـ

(كانت فتاة رقيقة ، حلوة ربطتنى بها صلة القرابه . كنت أحبها . ونشأ بيننا حب . حب دافىء حقيقى بعيد عن كل منغصات المادة كانت كالشمعة . اضاءت لى الطريق . . وعلى ضوئها الخافت استطعت التقدم قليلا) . . .

(واشتراها والد العريس بنقود لابنه فانطفأت الشمعة الصغيرة) . . ولكن فى هذا الزمن المادى القاتل ، تبقى لنا المبادىء التى تضىء لنا ، والقيم التى تحمينا من السقوط : (وتلفت لمبادئى . وجدت انها ستنقذ لى كل شىء اذا حافظت عليها ، فى هذا الجو المشبع بالنفاق والتفاهة . .) . . فالحب الجميل اذن ، يعيش فى الجو النقى الملىء بالصدق والشرف ، ويموت اذا سيطرت عليه الماديه ولوثه النفاق والكذب . . وبستان الحب الجميل ، يتركز جماله فى وردته الرقيقة (المرأة) . . .



***

* المرأة

عندما نبحث عن المرأة التى يقدمها لنا (فتحى الابيارى) من خلال قصص هذه المجموعه سنجد أنها المرأة التى نراها فى مجتمعنا الذى نعيش فيه الآن ، وبعد ربع قرن تقريبا من كتابة قصص (بلانهاية) . ورغم كل هذه السنوات الطويلة التى مضت ، فان المرأة فى مجتمعنا وفى واقعنا الذى يحرص (فتحى الابيارى) على معايشته وعلى تأمله وعلى التقاط شخصياته القصصية منه ، مازالت كما هى ، ولم تتغير كثيرا ، بل ولم تتطور عما كانت عليه عندما كتب (فتحى الابيارى) قصصة هذه . . .

انها المرأة التى لاتجيد إلا الصراخ ولا تملك الا القدرة على الصياح حتى فى أصعب المواقف واكثرها حاجه للهدؤ واعمال الفكر والحركة وحسن التصرف . فعندما مات الأب فى قصة (الضيف والحمقى) :

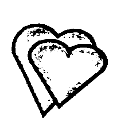
(أندفع ابن يقبل أباه . . . بينما صرخت الفتيات) . . .

وفى جزء آخر من نفس القصة تقرأ :

(وتحرك الابن وقفل الباب . وعلا عويل الفتيات)

وفى كل كتابات (فتحى الابيارى) ، لا ينسى (الأم) ، ويحرص على عرض نموذج الأم المكافحه الصبورة ، وهو يقدم لنا هذا النموذج فى الكثير من قصصه ، ويقدمه لنا فى هذه المجموعة فى قصة (من جديد) :

(وعندئذ جذبه صدى كلمة (أنا منتظرة) الى الوراء . . بعيدا ، بعيدا . . يوم أن ودعته أمه فى الصعيد بكلمة (أنا منتظره) . . لقد عاش معها مدة طويله ، ولكنه لم يستطع أن يحصل على عمل يكفيه وأمه وأخته الصغيرة . . . بعد أن قتل أبوه فى معركة ثأر) .



انها الام التى فقدت زوجها لأى سبب من الأسباب الكثيرة

القتل ، الموت ، الطلاق . . . الخ) ، والتى لا تتزوج مرة ثانيه ، وتنذر نفسها وتوقف حياتها من أجل أبنائها الصغار . عندما يكبر هؤلاء الصغار ، ويرحلون الى بلاد الله الواسعة بحثا عن الرزق ، تبقى (الام) فى بيتها لتنتظر بعض الخير الذى سيرسله اليها ابنها المتغرب عنها . . .

وفى «مقابل» صورة هذه المرأة المخلصه والصبورة ، بكل ما فيها من لمحات القداسه ولمسات الطهارة والبساطه ، يقدم لنا (فتحى الابيارى) — فى نفس القصة . لمحة ذكية للمراة العصرية المتمدينة ، ويصور لنا تلك المرأة المستعرضه التى كشفت نفسها وعرضت مفاتنها فأصبحت نهبا لعيون الشبان ، ومطمعا لاصحاب النفوس الضعيفة منهم :

(وعندما صل الى محطة الرمل ، يظل يدور ويلف بين الشبان الذين وقفوا فى حلقات يتناقشون فى (موضة الشوال) أو فى مغامرة لأحدهم من احدى الفتيات . وكانت عيونهم غير مستقره فهى مصوبة الى فتاة التصقت ملابسها بمعالم جسدها ، أو الى صدر امرأة ناضجة كشفت عن نفسها فبدت كالعاريه) . . .

ونتقل مع المؤلف فى جولته القصصيه ، فنلتقى بنموذج آخر للمراة ذلك هو نموذج البخيلة والدميمة ، وكأنه يريد أن يقول لنا : (إن الدمامه هى قبح الشكل ، والبخل هو قبح القلب . أو أن البخل هو دمامة الروح والعواطف والدمامه هى بخل الشكل والمنظر) . . ففى قصته (المفتاح) يصور لنا تلك المراة العجوز الدميمه الشكل ، والتى تستكثر على خادمها الصغير المسكين بعض الطعام الذى تاكله وحدها ، والذى يتمنى الصبى اليتيم أن يتذوقه :

(ولكنها كانت ترمى اليه بكسرة من الخبز ، وقطعة صغيرة من الجبن . اما هى فكانت تضع أمامها ما لذا وطاب من فاخر الطعام . وكان هو يلتهم الطعام بعينيه ، ويتمنى أكل الطعام مرة واحدة فى حياته ثم تفعل سيدته به ما تشاء) . . .



ويختتم الكاتب قصته ، مكملا رتوش الرسم الكاريكاتورى

لهذه السيدة الشحيحة العطاء ، عندما يبين لنا كيف انها ببخلها ودمامتها تكاد أن صورة من المجرم المعروف (أرسين لوبين) ، فيقول فى نهاية القصة : ـ

(وبينما كان غارقا فى تأملاته أمام دولاب الخزين المليء بالماكولات الشهية ، لم يشعر إلا بتلك الضربة القاسية التى تلقاها . فأطاحت به على الأرض ، وتركته مكوما بجوار الدولاب .) . . .

وكأن الدمامة والبخل تكتملان هنا بالقسوة والعدوانية التى تعامل بهما السيدة خادمها الصغير لمجرد أنه فكر وحاول أن يحصل على بعض حقه من الطعام الشهى الذى يراه ويحمله اليها كل يوم ، دون أن يستمتع بتذوقه ولو لمرة واحدة فى حياته ، حتى لو مات بعدها وتتوالى . أمامنا صور المرأة كما يراها ويرسمها لنا (فتحى الابيارى) فى مجموعته القصصية الأولى (بلا نهاية) :

فترى المرأة التى تعطى نفسها وتمنح قلبها وعواطفها وجسدها أيضا لمن تحبه وتعتقد أنه يحبها ، بل وتستخدم مكرها فى التخلص من العوازل والرقباء ، وتحبس من تعتقد أنهم سيحرمونها فرحة لقائها بحبيبها ، وترتب كل شيء ، وتستغل كل الظروف حتى تستمتع بحبيبها : (ــ واذا استيقظت الخادمة ؟

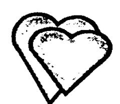
ــ كيف تستيقظ !!

ــ كيف ذلك ؟

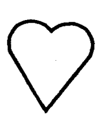
ــ لأننى أغلقت عليها الباب . . . حبستها .) . .

(ولولا وجود أختى الثانية وزوجها فى الشقة المجاورة ، لما استطعت أن أجد عذرا فى البقاء وحدى فى الشقة للمذاكرة والالتقاء بك على إنفراد) . .

والمرأة تفكر دائما فى المستقبل ، وتركز هدفها من كل حياتها فى أمل واحد تسعى اليه وتحاول أن تحققه بكل قواها ، وهو الزواج ، فالحب لا يكفيها ، والحنان لا يرضيها ، والذكريات لا تشغلها ، واذا لم تجد أملا فى الزواج بمن تريد والارتباط بمن تحب ، تزوجت وارتبطت بأى شخص كان ،



حتى ولو كانت تكرهه .
(كنت أحاول أن أحدثك عن المستقبل وتريدنى أن أعيش فى الماضى ، والماضى بالنسبة لى مؤلم ولا أحبه . أنا أحب المستقبل . أحب أن ابنى آمالى ، ولكن على أساس ، وأنت تهرب من وضع أى أمل على أى أساس) . .
والمرأة المستهترة ، زوجة خائنة ، يؤخرها زوجها عن ممارسة لهوها وعن اشباع نزواتها : (ولا مؤاخذة . . السبب فى تأخرى . . . زوجى) . . .
وفى مقابل هذه الصورة تقف المرأة (الجدة) ، بكل ما تمثله من أصالة ، وما ترمز اليه من تقاليد ولكى ينجح المراهقان فى مغامرتهما الطائشة مع المرأة الساقطة ، كان لا بد لهما من ابعاد (الجدة) والهائها عنهما بارسالها الى السينما ، حتى ولو كانت لا تريد الذهاب الى دار اللهو :
(وبكل فنون الدراما استطعت وصديقى أن نزحزح جدتى من المنزل لمدة ثلاث ساعات . اشترينا لها تذكرة سينما ، واقنعناها بالذهاب لرؤية بريجيت باردو) . . .
والمرأة المحبة هى الأمل وهى الحياة تتغير فتغير كل شىء ، تذهب فتأخذ معها العمر وتأتى فتجىء لنا بالسعادة .
والمرأة المخلصة هى الحلم الذى يسعى الانسان لتحقيقه وتحويله الى واقع حياتى يعيشه : (خمس سنوات مضت غيرتنى . . وغيرت مجرى حياتى . . . وآمالى . وهل تغيرت آمال طوال تلك السنوات . . هل ستأتى ؟ الناصية التى كانت تظهر منها مازالت خاوية . . .) . . .
والمرأة التى تُحِب ــ بضم التاء وكسر الحاء ــ ولا تُحَب ــ بضم التاء وفتح الحاء ــ تكون مجرد دميه لا تعيش وان كانت موجودة ولا تحيا وان كانت تتحرك :



(ماتت معها أحلامها وأمنياتها ومستقبلها . . كانت تعيش بين الناس كالدميه لا إحساس فيها ، لاإحساس فيها ، إلاإحساس الأموات) . . .

ثم يقدم لنا صورة أخرى من صور الام . هذه الام التى تحب ابنتها وتحاول اسعادها بتزويجها بأية طريقة ، فتكون نتيجة ذلك أن تحرمها من حبيبها الذى كانت تتمنى أن تتزوجه ، خصوصا إذا استسلمت الابنة للواقع الذى تفرضه عليها أمها والظروف معا :

(ـ كنت متضايقه من كلام ماما . .

ـ اى كلام ؟

ـ كانت كل دقيقة تزن على اذنى وتقول لى يابنتى نفسى اراك عروسة وافرح بك قبل ان اموت ولم تسكت . . واحضرت لى العرسان . .) . .

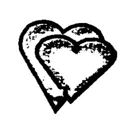
(وصرخت ماما : تحب ؟ لكن أين هو؟ لماذا لم يحضر ويخطبها ؟ وتظل تبكى وتبكى وتندب حظها . وتقول : يابنتى انه يضحك عليك لوكان يحبك كان جاء ليخطبك من والدك) .

ونرى بعد ذلك ، المرأة التى يجرحها حبيبها ويهجرها ليتزوج بأمها ، فتعرف انها امراة ضعيفة ومسكينة ، لا تستطيع ان تنسى حبه لها واذ لاله وجرحه لكرامتها : ففى قصة (ومازال يبحث) يقدم لنا المؤلف (سوسو) تلك المرأة التى تحاول ان تنسى حبها واهانتها بكل الطرق ، ولكنها لا تسيطع الا ان تترك نفسها للضياع) :

(. . واقول لك بكل صراحة ، انك مازلت تحبين ذلك الشاب لانه اهانك كامراة . .) . . (لقد سكت سته شهور ، ولم تصارحينى بحقيقة شعورك لهذا الشاب الذى تركك ليحب أمك .)(وقالت : أتريد الحقيقة ؟

وهز رأسه . ثم تابعت كلمها : اننى ماز لت أحبه) . . .

وفى قصة (تحت التمرين) ، نلتقى بنموذج رقيق للمرأة الحبيبة التى تكون فى حياة حبيبها كالشمعة الهادية بنورها وسط ظلام الصراع الذى يخوضه لاثبات وجوده وتحقيق اماله والوصول الى اهدافه ، وهى برقتها ونور محبتها ، تضيع من حبيبها عندما يبيعها والدها لمن يملك ثمنها . والثمن الذى يهمه أن يحصل

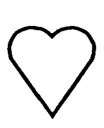


عليه يبيعها ليس سعادتها ولا فرحتها ، ولكن الثمن هو النقود التى يحصل عليها باعطائه اياها لمن يملك ان يدفع اكثر : ـ (حتى من كنت أحبها ، كانت فتاة رقيقة .. حلوة .. ربطتنى بها صلة القرابة ونشا بيننا حب دافىء ، حقيقى ... كانت كالشمعة ، أضاءت لى الطريق الاسود ... كانت مؤمنة يكفاحى ، ولكنها لم تكن قادرة على الكفاح المستمر ، انهارت ... واشتراها والد العريس بنقوده لابنه وانطفأت الشمعه الصغيرة ..) ..

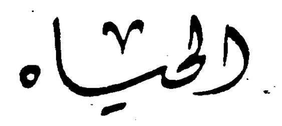
اذا كنا قد بدأنا بالمراة التى لا تستطيع الا أن تصرخ والا أن تعول ، فاننا ننتهى فى قصة (تحت التمرين) الى نموذج مشابه ، وهو نموذج المرأة الثرثارة والتى تكون مصدر للشائعات وتعتمد عليها الصحف كمصدر للاخبار الساذجة والتافهة والتى لا صدق فيها ولا هدف لها : (اننى لم أرك تقدم موضوعات عن البنات الجميلات فى الجامعة التى تخرجت فيها .. الجمال نعمة ، وكل الناس تحب الجمال ، اين بناتك وفتياتك) (ودق جرس التليفون ، فرفع السماعة الى اذنيه ثم صاح :

ـ اهلا .. اهلا يا عزيزتى .. كيف حالك ياجميله ؟ وحشتينى .. طيب ياحلوة .. لا تنسى حفلة الليلة .. انا على أتم استعداد ياحبوبه الساعة التاسعة .. لا تنسى .. مع السلامة يالحلوة ..) ..

وهكذا يقدم لنا (فتحى الابيارى) المرأة فى اولى مجموعاته القصصية المرأة الأم والحبيبة والعاشقة ، والخائنة ، والشريفة ، والزوجة ، والابنة ، والثرثارة ، والجميله ، والدميمة يقدم لنا المرأة التى نراها ونعايشها فى حياتنا الواقعية ، أما وأختا وزوجة ابنة وحبيبة . وباجتماع الحب والمراة ، تولد وتستمر الحياة ...



***



الاستاذ (فتحى الابيارى) ولد ليكون صحفيا . والصحفى لعبته الحياة . فاذا كان الصحفى اديبا وفنانا ، أصبحت لعبته اكثر جمالا ، واكثر اثارة . . . ومن هنا تأتى حلاوة ذلك العطاء الذى يمتعنا به (فتحى الابيارى) فى قصص مجموعته الاولى (بلا نهاية) . .

انه العطاء المأخوذ من الواقع ، والموضوع على طبق من الخيال الخصب ، والمقدم للمتلقى مع كؤوس واكواب من عصير الحكمة والفلسفة . . .

ومن السطور الأولى ، للقصة الاولى ، فى مجموعته القصصية الاولى ، يقدم لنا (فتحى الابيارى) خلاصة رؤيته للحياه ورأيه فيها . . فالحياة عنده خليط من الالم والمرض والحزن وصراع مخيف مستمر ضد ذلك الضيف الثقيل المعروف ب(الموت) ، ومهما انتصرنا فى جولات صراعنا ضد هذا الضيف الغير مرغوب فيه ، فان انتصاره علينا فى النهاية آت لا ريب فيه . .

إن قصة (الضيف والحمقى) هى قصة الحياة والموت ، وقصة الأيام والأشخاص والأحداث التى تملأ تملك الفجوة مابين الحياة والموت بفقاعات الأوهام وبالونات الأحلام . . وكل مانعيشه وكل مانحصل عليه ، وكل ما نستمتع به هو من الله وبإرادة الله . . (الصحة والحياة فى يد الله . . وهناك أمل) . . .

هكذا قال الطبيب ، مجيبا على تساؤل ابن الرجل المحتضر . .
وفى هذه القصة نرى العلم متمثلا فى الابن الاصغر (الطبيب) الذى يوشك أن يتخرج من كلية الطب ، ونرى الحكمة وخبرة الاجيال التى يرمز اليها ويمثلها الابن الاكبر . . ونرى أيضا كيف يفشل العلم والحكمة معا عن الانتصار على الموت ، وعن حماية الأب الذى يحتضر بين أيدى أبنائه من الأولاد (رمز القوة والرجولة) والبنات (رمز الحنان والحب) دون أن يستطيعوا بكل قوتهم ومحبتهم أن يردوا عنه ذلك الضيف الثقيل الذى فرض نفسه عليه ثم اصطحبه معه ورحل به عنهم .

وعندما يذهب الاخوان لاعداد المقبرة التى سيدفن فيها والدهما يرسم لنا (فتحى الابيارى) موقفا مضحكا يصور لنا به سخرية الحياة وذلك من خلال ذلك الحوار الغريب والمضحك وشر البلية ما يضحك ـ الذى يدور بين (شيخ الطربية) والأخوين ، والذى يحاول فيه (الحانوتى) أن يقنعهما بشراء قطعة أرض غالية :

(وانقادا وراءه وأقدامهما تثير الغبار ، واقترب الرجل من مكان وأشار اليهما قائلا :

ـ اظن هناك بجانب السور . . هذا المكان لا يوجدمثله الآن . . انه منامة عظيمة ثم خطا خطوة ثانية ليقيس مساحة الأرض والتفت الى الأخوين قائلا :

ـ ان المكان مناسب جدا . . منامة عال متران بالكمال . . الله يرحم المرحوم ثم زفز حارة مصطنعة وقال :

ـ دنيا يابك . . الدوام لله ، لكن بشرفى . . انه مكان عال . . والوسط راقى . . دنيا . . . دنيا يابك) . . .

انها الطبقية والتفرقة والتميز التى تطارد الناس حتى بعد موتهم ، فالحانوتى يحاول أن يحصل على اكبر ثمن ممكن لقطعة الارض التى يحتاج اليها الاخوان ليجعلا منها مقبرة لابيهما . . وفى سبيل نجاحه ، ومن اجل تحقيق هدفه يؤكد لهما (انه مكان عال . . والوسط راقى . . ومنامة عال . .) . . .

ثم يختتم (فتحى الابيارى) قصته الفلسفية ، التى اقتطع مادتها الخام من الواقع ، ثم وضعها فى اطار من الخيال الممزوج بالتفكير والتأمل ، ليقدم لنا سؤالا بدأ مع البدايات الاولى لوجود الانسان على الارض ، ولن ينتهى الا بنهاية العالم يوم يشاءالله ... يختتم قصته بالسؤال الخالد (انها حياة عجيبة التى نحياها ، لماذا نحياها ؟ وما الهدف ؟) .

ان الأخ الأصغر الذى يوشك أن يكون طبيبا) والذى قلنا انه قد يكون ممثلا ورمزا للعلم يسأل هذا السؤال متوجها به الى أخيه الاكبر ، الذى قد يكون رمزا وممثلا للحكمة وللخبرة وكأننا بالمؤلف يعلن هنا عن فشل الحكمة والعلم معا عن كشف النقاب عن سر الحياة ... وأن علينا ان نستسلم للصمت وللامر الواقع ، وأن نكتفى بالسباحة مع افكارنا فى بحور الدهشة والاستغراب وأن نركز أسماعنا للاستماع الى صوت خطواتنا الهامس فوق التراب وهكذا تنتهى القصة وقد رحل الاب ، وتفرق الأبناء من حول سريره ، وبقى السؤال المحير لكل البشر لا يجدون له اجابه واحدة محددة ومقنعة ، تريح عقولهم الصغيرة ، وتسكن اليه قلوبهم المضطربة ، بقى السؤال القديم قدم البشرية ، والمتجدد ببقائها (لماذا نحيا ؟)

يطرحه علينا (فتحى الابيارى) فى أولى قصصة التى يستهل بها انطلاقه الموفق على درب الحياة الادبية ، ويواصل محاولاته المستمرة والمخلصة للاجابة عليه طوال مسيرته الابداعية ، وكما سنرى فى استعراضنا لاعماله الادبية الاخرى ...

والحياة عند (فتحى الابيارى) ليست سؤالا صعبا لا تستطيع الحكمة ولا يمكن للعلم الاجابة عليه فقط ، ولكن الحياة عنده أيضا صراع دائم من اجل الحصول على لقمة العيش ، وهذا الصراع هو بين الانسان البسيط والضعيف وبين قوانين الحياة التى يمثلها ذلك الشرطى الذى يبدو من شكله الخارجى قاسيا وقحا ، بينما هو فى أعماقه يتمنى أن يفعل خيرا وأن يساعد البائع الفقير المسكين ، لولا تلك الأوامر

الصادرة اليه من رؤسائه والتى لابد أن ينفذها مهما كان رأيه فيها او ايذائها لمشاعر الانسانية . . .

ان قصة (غرامة) تلخص لنا الحياة في بضع جمل بسيطة وواضحة ، فتقول لنا بان الحياة صراع للحصول على لقمة العيش ، وان الموت افضل من الفشل من تحقيق الهدف من الحياة ولحياة قانونها الذى لا قلب له ولا رحمة فيه ، وان محاولة الهروب من المشكلة الصغيرة التى هى دفع الغرامة ، أو تأدية تكاليف وواجبات الحياة ، هذا الهروب قد يوقعنا فى مشكلة اكبر ندفع لها ثمنا أفدح ، وقد تفقدنا حياتنا نفسها ، كما حدث لذلك البائع المسكين الذى حاول أن يهرب من الشرطى (قانون الحياة لكى لا يدفع الغرامة المطلوبة منه (تكلفة الحياة) فصدمته سيارة مسرعة أصابته وألقت به على الأرض سابح فى بركة من دمائه . . .

ونأتى الى قصة (من جديد) لنجد أن المؤلف يؤكد لنا فيها على رأيه بأن الحياة صراع من أجل لقمة العيش وان هذا الصرع قد يصل بالانسان الى أقصى درجات الذل والمهانة . فبطل القصة رجل من الصعيد ، جاء للاسكندرية من اجل الالتحاق بعمل يوفر له دخلا يعيش به ويرسل بعضه الى أمه التى تنتظره بالصعيد ، ولا يجد له عملا الا (مسح الأحذية) . . الانحناء أمام الآخرين لمسح أحذيتهم وهو طبعا عمل شريف لا يمكن أن نفكر فى التقليل من شأنه ولا يمكن أن نحاول السخرية من العاملين به ، لكننا فقط نحلل المنظر وندقق فى الصورة لنخرج منها بالمعنى الذى يريد أن يقوله لنا المؤلف . . ورغم ذلك الذل والشقاء ، فان الرجل الفقير البسيط ، لا يفقد القدرة على الاستمتاع ولو بمجرد النوم والاحلام ، لكن شمس الحياة الملتهبة تذيب شموع الاحلام الخادعة .

(وبدأت الشمس تترفق بالناس فخففت من حدتها . ولكن بعض حبات العرق أخذت تتجمع على صلعة الرجل النائم ، وتنحدر ببطء فوق تضاريس وجهه ، وكأنها توحى بأن افكار الرجل النائم تتبخر أولا

بأول تحت حرارة الشمس) . .

والحياة هنا لا تعرف الحلول الوسط ، فهى رخاء وبريق أو شقاء وظلام ، وقد عبر الكاتب عن هذا المعنى باختلاف الاحذية التى يلبسها الناس ، فهى احذية نظيفة ولامعه ، أو هى غير موجودة أصلا :

فقد رأى الأحبة ، الاثنين اثنين ، فى انسجام . ورأى أحذية المحبين نظيفة لامعة كالمرآة)

و ترك ذلك المكان . وذهب الى حى الحضرة . لكنه عرف انه ليس بالمكان الذى يستطيع أن يستخرج منه قرشا واحدا ، لأن معظمهم ينتعلون (المراكيب) وتراب الأرض) . .

والحياة مجرد مظاهر براقة تخفى وراءها شقاء حقيقيا : (ودخل الزقاق . . وأخفته عن الأنظار سيارة انيقة) . . .

وفى قصة (المفتاح) يعرض لنا الكاتب صورة للحياة الظالمة والخالية من العدالة ، فهذه عجوز بخيلة رغم ثرائها ، تستكثر الطعام على خادمها الصغير اليتيم ، وفى نهاية القصة ينتصر البخل على الكرم ، والظلم على الحق :

(وبينما كان غارقا فى تأملاته أمام الدولاب (دولاب الخزين) الملىء بالمأكولات الشهية ، لم يشعر الا بتلك الضربة القاسية التى تلقاها ، فأطاحت به على الارض ، وتركته مكوما بجوار الدولاب) . . .

وكأننا بالكاتب يقول : ماأقسى الحياة ، انها تضرب وتوذى وتؤلم كل من يحاول ان يحلم أو يفكر فى الحصول على ملذاتها والتمتع بطيباتها وفى قصة (بلا نهاية) ـ نرى الحياة كبحر ملىء بكل شىء ، فيه الكثير من المجهول والقليل من المعلوم ، وشاطىء البحر ملىء بالصخور الصلدة التى يجب علينا ان نمشى عليها وان نعبر فوقا منها حتى نصل الى هدفنا . .

(وتقدمت آمال فوق الصخور ، فكادت تسقط . فأحاط عادل خصرها بذراعه ، وظلا يتسلقان الصخور المتعرجة حتى وصلا . .)

والحياة شروق وغروب ، وفى الشروق تفاؤل وابتهاج ، اما الغروب ففية التشاؤم والأسى والالم ، والحب شروق والفراق غروب :

(ـ منظر الغروب جميل . .

فقالت بنبرة مختنقة :

ـ لا أحب هذا المنظر ابدا . .

لماذا ؟

ـ لان الغروب دائما يدل على النهاية . .

ـ بالعكس ، ان غروب الشمس بلا نهاية ، فهو فى الحقيقة بداية فى مكان آخر . . لماذا تنظرين بتشاؤم هكذا ؟ . . .

وقصة (بوسى) تقدم لنا معادلة واضحة تحدد العلاقة بين الحياة وبين الحب . فالحياة هنا لا تستحق أن تعاش اذا فقدنا من نحبه أو مانحبه فيها ، حتى ولو كان ما نحبه مجرد قطة صغيرة وشقية :

(قررت بدورى اننى لن اعود الى المنزل اذا طردت صاحبتى) . . .

والحياة أيضا وفى نفس الوقت ، تستمر ولا تتوقف عندما نفقد ما نحبه فيها ، خصوصا اذا ترك لنا شئيا نتذكرة به .

(فعلمت أن بوسى قد طردت . . . وشعرت أننى قد فقدت جزءا من حياتى ، ولكن نظرى وقع على بوسى الصغيرة ، فأحسست أن الماضى سوف يعود) . .

الماضى سيعود . . والكاتب لا يمكن أن يقصد ان الماضى سيعود بنفسه تماما ، ولكن لابد انه يعنى بأن الماضى سيعود بالذكريات ، وبالحب والامل ايضا . . . وفى قصة (ومازال يبحث) نرى أن الحياة تبقى المحروم محروما للأبد :

(انه لم يحس طوال حياتة بالحنان . فقد ماتت أمه ، وتزوج أبوه بامرأة أخرى كانت تعذبه وهو صغير . لم يشعر بأحد يهتم به أو بملبسه أو بصحته ، إلا بعد أن صادف سوسو) :

وقد وفق المؤلف فى التعبير عن تعارف (مراد) ب (سوسو)

بكلمة (صادف) بدلا من كلمة (قابل) فهذا التعاون والحب الفاشل جاء بالمصادفة اكثر منه باللقاء والمقابلة . . و (مراد) بطل القصة لم يسعد فى حبه ل (سوسو) بل استمرت قصة الاسى والالم فى حياته بتصميم (سوسو) على فراقة وعدم لقائه مرة اخرى :

(أُرجوك . . لاتحاول ، ولا تتصل بى . . لقد تأُخرت . . لن ترانى . .) . . . والمعادل الموضوعى للفشل فى الحب هو وجود الصديق المخلص الذى يكون موضع حب وموضوع اخلاص وثقة صديقة ، ولكن حتى هذا الصديق الذى يشارك الانسان فى مشوار الحياة ويستمع الى شكاواه ، ويخفف عنه ما يعانيه ، هذا الصديق ـ لا يعثر عليه (مراد) ، وكلما حاول ان يجالس احد ليحدثه عن ماساته ، تركه متعللا بأى عمل :

(ولكن واحداً منهم لم يحاول أن ينصت اليه . كلهم كانوا مشغولين فجلس على مكتبه ، ولكنه لم يستطع . ان صدره يغلى بما حدث له . فقام ليبحث عمن يستمع اليه ، ليحكى له ما حدث بالامس . . وظل يبحث ويبحث . . ومازال يبحث) . . . وبهذه الجملة يوشك الكاتب أن يقرر بأن الصديق الحق الذى يصحبنا فى رحلتنا الشاقة بهذه الحياة لا وجود له . . وهو حكم قاسى جدا ، ولكننا نعتقد بانه ليس حكما نهائيا ، بل يمكن اعادة النظر فيه ، بل ويمكن تغييره تماما . ولعل الكاتب نفسه قد غير راية فى الحياة والصداقة بعد ربع قرن من كتابته لهذه القصة وبهذه النهاية . . . والحياة فى قصة (صورة) مجرد خرابة كبيرة يحيط بها سور به فتحة صغيرة يدخل منها الاطفال ليلعبوا هناك ، وليمارسوا شقاوتهم وعبثهم ، حتى ياتى الكبار بجديتهم وقسوتهم ليمنعوهم من اللهو ويحرموهم من اللعب ويمسحوا ويغسلوا كل ما فعله الصغار ، بل وتبلغ قسوة الكبار الذين يمثلهم (عم حماد) مداها بمسح الرسوم التى يرسمها الاطفال على سور الخرابة ، وكأن الكبار بذلك يمسحون المعانى الرقيقة للبراءة التى يرمز اليها الاطفال ، ويقضون على الجمال الذى يحاولون صنعه من خلال

رسومهم . .

انها قصة معبرة ، قد يكون فيها الكثير من التشاؤم والكثير من السخرية ، لكن هذا التشاؤم وهذه السخرية مبرزين فنيا من خلال الرمزية الداخله فى النسيج الواقعى المقدم للحياة فى هذه القصة . ونشعر بالحيرة عندما نحاول ان نختار بعض الجمل والسطور المعبرة عن هذه المعانى التى استخلصناها من قصة (صورة) ، لاننا فى هذه الحالة سنضطر لنقل القصة بكاملها للقارىء العزيز ، ولكننا سنحاول فيما يلى ان نقدم اهم الجمل التى تعرض لاهم الافكار التى حاول المؤلف ان يجسدها لنا فى هذه ال (صورة) . .

فالحياة (خرابة) يلعب فيها الصغار ، مقلدين الكبار :

(وتلك الخرابة كثيرا ما تشهد هذه الاجتماعات الصاخبة . كان يحيط بها سور ، فيه ثغرة واسعة حفرها الرفاق الصغار ، لينفذوا منها الى الخرابة ، يلعبون فيها ، ويمرحون بين اكوام الحجارة المتناثرة هنا وهناك . . كانوا يلعبون لعبة الحرب ، كما يلعبها العالم حينئذ . .)

. . .

والحياة قوة كبيرة (عم حماد) ترهب وتخيف البراءة (الاطفال) وتحاول أن تزيل الجمال (رسوم الصغار) من على سور الخرابة (وجه الحياة) :

(ونظر خلفه بسرعة ، فرأى عم حماد ، منتفخ الأوداج ، والشرر يتطاير من عينيه ، والغضب يكاد ينطلق من قسمات وجهه الصارم . كان قادما اليه يحاول أن يمسكه ، فقذف بالحجارة ، وأسرع هاربا)

. . .

(ورأى عم حماد وهو يحمل جرد له المملوء بالماء كما هي العادة ، ويقذف بالماء على الجدار ليزيل تلك (الوساخة) . . .) . . .

فالفن الجميل ، المرسوم بيد البراءة ، وبالطباشير الابيض ، ليس فى رأى (الجهل) اكثر من (وساخة) يجب إزالتها من على سور الخرابة . .

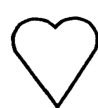


وتنتهى القصة بهذه الجملة ذات الايقاعات اللفظية البطيئة والمؤثرة :

(ظل الرسام الصغير يشاهد رسمه ، والماء يمسحه رويدا . . رويدا) . . .

وهذا هو ما يستطيعه أى انسان ، ليس اكثر من أن ينظر الى الحياة من حوله وهى تخبوا وتنطفىء حتى تصبح هى والعدم سواء . . وأقصى ما يملكه أى انسان من القدرة على الخلق والابتكار والعطاء فى هذه الحياة ، لا يمكن الا أن يكون كالرسم بالطباشير على حائط الخرابة ، ويسهل ازالة كل ما عمله من فن وعمل بقليل من الماء . .

وقد نجح المؤلف تماما فى تشبيه الزمن بالماء ، فكلاهما أبيض اللون عند المنبع أو بداية أو لحظة الميلاد ، وكلاهما يجريان فى مجراهما ، الماء يجرى فى النهر ، والزمن يجرى فى نهر الابدية ، وكلاهما يستطيع أن يزيل ويمسح كل ما يرسمه أو يبنيه أو يعمله الانسان على أرض هذه الحياة . . . وما الانسان الا رسام صغير يحاول ان يترك آثار طباشيره على وجه الدنيا ، ولكن هيهات . . وينتهى كل شىء ولا تبقى الا الذكريات التى يستعيدها كل منا فى خياله (بلا نهاية) . . .



« قصص قصيرة جدا ... »

●● فى عام (١٩٧٢) أصدر (فتحى الابيارى) مجموعته القصصية ، وكانت بعنوان (قصص قصيرة جدا) ، وقد حاول أن يجدد فى شكل القصة القصيرة بحيث تواكب التغييرات الجذرية التى حدثت فى حياة الانسان المعاصر ونفسيته ، وبحيث تعبر عن زمن القلق والملل والاضطراب الاجتماعى والاقتصادى الذى يعيشه انسان اليوم ، وبحيث تتمشى مع الايقاع السريع الذى أصبح يغلب على حياة الناس وعلى تصرفاتهم وعلى ردود افعالهم ، والتى تظهر مدى التوتر العصبى والارهاق الجسدى والتمزق العاطفى الذى أصبح الانسان فريسة سهلة فى عالم اليوم الذى تحيط به القيود المادية الرهيبة ، وتهدد بقاء الحروب المدمرة ومن هنا جاءت دعوته الرائدة الى تطوير القصة لتكون قصيرة (جدا) ، تمتزج فيها الصورة التليفزيونية مع الحوار المسرحى ، وتتخلص من العبارات الانشائية والاستطرادات الوصفية والتعبيرات التقليدية ، وتكون الكلمة فيها مشحونة بالصور المجردة الشبيهة بصورة الكاميرا ، وتقدم سطورها ذلك الاحساس الفنى المركز والمعبر عن مكنونات النفس البشرية القابعة فى اعماقها الخفية . . .

ويمكن أن نسجل بهذه المجموعة نقطة سبق تحسب للأديب (فتحى الابيارى) ، اذ يعتبر أول من نادى بالاتجاه الى كتابة هذا الشكل القصصى المتطور والملاحق للواقع الحياتى المتغير بسرعة ، فى الأدب العربى . وهو تطوير وتجديد لفن كتابة القصة القصيرة مع المحافظة على قواعدها الأساسية ، ودون اخلال بعناصرها الكلاسيكية ، ودون جنوح منه الى غموض مرفوض ، ودون ان يضل طريقه بين تهويمات لا هدف لها الا تسويد الصفحات ، كما قد يفعل بعض ادعياء الادب من دعاة (التجديد) الذى ينتهى بهم الى (التبديد) لطاقاتهم الابداعية دون جدوى . . . وقد سجل عدد من كبار الكتاب والنقاد رأيهم فى هذه القصص القصيرة جدا ، كتجربة رائدة

وناجحة لتطوير الشكل القصصى العربى ، فقال عنها شيخ القصة العربية الاستاذ الراحل (محمود تيمور) :

(لا شك ان الاستاذ (فتحى الابيارى) فى مجموعته (قصص قصيرة جدا) يمثل الطراز العصرى . وقد اعانه على ذلك انه هو مثل حى ، يجمع خصائص عصره الحاضر ، تراه لا يمشى بل يتواثب . . . وتسمعه لا يتكلم بل يتدفق حديثه . . . وتلاحظ محاولاته الفنية والادبية فيروعك منه انه طلاع الى الابتكار فى كل شىء ، فى الشكل والموضوع ، فى الصيغة والمضمون . . . على أن ومضات (الابيارى) فى قصصه القصيرة جدا ، تحمل اليك فى وهجها الساطع ادق الملامح والسمات ، وأصفى المشاعر والعواطف ، وتدلك على ان صاحبها يتميز بناحيتين أصيلتين هما (ذكاء الملاحظة) ، و (براعة الالتقاط) . . .

وانى وانا شيخ عاش الشطر الاكبر من عمره فى عصر ماقبل الصواريخ ، لأمد يدى محييا فى اعزاز اديبنا الشاب الذى استطاع ان يعكس فى فنه الادبى طابع الدنيا الجديدة فى عصرنا المشهود) . . .

وقال عنها الاستاذ (ثروت اباظة) :

(لقداستطاع (فتحى الابيارى) أن يقدم الينا عملا فنيا جديرا بالتقدير ، واستطاع ان يكون اصيلا لا يفتعل الشكل . . . فاذا هو يلمح الومضة الخاطفة ، والكلمة العابرة ، واذا هى تتفاعل عنده لتصبح قصة من الفن الرفيع ، تحس وراءها فنانا يعشق فنه ، ويسيطر على الاداة ، ويجرى قلمه حيث يريده ان يجرى ، بارعا صانعا ، قادرا . . . وهى تجربة صادفت نجاحا . . . . وانى واثق انه سيوفق فيما سيخوض من تجارب ، وليست هذه الثقة وليدة الظن او الضرب فى المجهول ، وانما هى وليدة مالمسته عند اخينا (فتحى) من صدق فنى ، وانا أعتبر الصدق الفنى هو الاساس الاول للنجاح ، وهذا الصدق يجعل الفنان يخدم فنه ، ولا يعتسف هو هذا الفن أو يرغمه على طريق لا يتسق مع طبيعته او مضمونه . . .

وانني حين اهنيء الكاتب الفنان (فتحى الابيارى) بمجموعته ، اهنيء نفسى انا ايضا ، اذ استطعت أخيرا العثور على مجموعة كاملة من الأدب الحديث افهمها جميعا ، وما هذا لو علمت بقليل) . . . والسطور الأخيرة من راى الاديب الاستاذ (ثروت اباظة) فى مجموعة (قصص قصيرة جدا) ، نحب ان نهديها للادباء الشبان الذين يعتقدون ويزعمون ان (العصرية) هى (الغموض والتهويم) الذى يعجز كبار الادباء عن فهمه وادراك معانيه ، ناهيك بالقراء العاديين من هواة القراءة لعلهم يضيقون ، ويعرفون ان الادب رسالة ، والرسالة - اية رسالة - اذا لم تكن واضحة المعنى ومفهومة الهدف وظاهرة القصد ، تصبح مجرد شفرة مجهولة ولا قيمة لها . . . ولا نظن أن أية اضافة اخرى من ناحيتنا يمكن ان تقدم المزيد من التقدير لهذه التجربة الرائدة التى اكد بها (فتحى الابيارى) جدارته بالريادة كمجدد فى الادب القصصى . . ومن هنا ننتقل الى عمق دراستنا ، فنعرض ونحلل ونقيم كيفية تناول الكاتب لقضايا الحب والمرأة والحياة فى (قصص قصيرة جدا) . . .

***

١ - الحب ...

الحب هنا ليس صغيرا ، وليس ضئيلا ، حتى ولو جاء اسمه ، او لمسنا وجوده ، او شممنا رائحته وعبقة ، أو أحسسنا بحرارته ، فى كلمة او فى نظرة او فى بسمة او حتى فى لفتة واحدة ، فهو متغلغل فى كل قصص المجموعة ، وهو ملموس ومحسوس ومتواجد بنفسه او موجود بآثاره فى صفحاتها وبين سطورها . ومن التكرار الممل أن نعيد القول بان ذلك هو الموضوع الاثير والمفضل عند (فتحى الابيارى)

فى قصة (كلمة حلوة) وهى اولى قصص المجموعة ، نلمح ذلك الحب الذى يعبر عن نفسه بسرعة ، ثم يختفى فى الزحام عندما تبتلع الاتوبيسات جموع الركاب المنتظرين على محطة الاتوبيس :

(واقتربت فتاة جميلة من المحطة لتنضم الى كومة المنتظرين ، وحياها احد الشبان قائلا :

ـ ربنا قال نحب الجمال . . .

ولم يكمل كلامه ، فقد وصل موكب من الاتوبيسات ، وتسابق الركاب كانهم فى حالات ذعر ، وابتلعت الاتوبيسات الفتاة الجميلة والشاب ، وبقية الركاب) . . .

فهو هنا الحب البراق ، الجميل الشكل ، الذى يظهر فجأة ويختفى بسرعة ، دون ان يترك اثره الا فى عيوننا ، ودون ان يترك ذكراه فى قلوبنا . . . ثم نلتقى بحب الوطن الذى يتغلغل فى مشاعر وقلوب ابنائه المخلصين ، حتى انهم يقدمون حياتهم كلها من اجل تحرير ارضه من الاعداء والمستعمرين . وفى نفس الصورة المعبرة عن صُراع الخير والشر ، الحرب والسلام ، والمليئة بالديناميت والدمار ، نلمح ذلك الحب البرىء الذى يربط الطفلة الصغيرة بعروستها (الدمية) التى نسيتها فى البيت الذى دمره الاسرائيليون فتطايرت اشلاؤه . . . ثم تكتمل انسانية الصورة الخالية من كل ما يمت للانسانية بصلة ، بتلك اللقطة التى تحتضن فيها الام ابنتها الصغيرة بامومتها وحنانها ، وتعدها بان تحضر لها عروسة اخرى بدلا من التى حطموا بيتهم فوقها . والطفلة كما هو واضح رمز للمستقبل ، اما العروسة (لعبتها) التى تحطمت ، فلعلها البراءة او لعلها الارض او لعلها ذلك الشعور الذى يغمر الانسان بالسعادة والامان ، عندما يحس بان له ممتلكاته ، حتى ولو كانت هذه الممتلكات مجرد (دمية) جامدة لا حياة فيها (مظهرا) ولكنها تمنح الاطفال الشعور بالبهجة وهم يلاعبونها ويكلمونها وكأنها مخلوقا حيا ، يحس ويفهم مثلهم تماما . . . .

ـ ماما . . عروستى . . كسروها . . .

ـ سنحضرها لك . .
ـ ماما . . عروستى . .
ـ لا تبكى ياحبيبتى . . سنحضرها لك) . . .

وفى قصة (عشاق فى الميرلاند) نرى نوعين من الحب ، النوع الاول هو ذلك الحب الحقيقى الذى يدفع الانسان للعمل والبناء ، وهو نوع يجمع بين الصدق والبساطة ، انه ذلك الحب الخشن المظهر والرقيق الجوهر ، الاسمنتى الشكل والتورانى المضمون . وهو الحب الذى يجمع بين (نبوية) و (عويس) . وعندما يحاول ان يكلمها عن حبه لها ورغبته فى الزواج منها ، تقول له بانه لا داعى للكلام ، وتطلب منه ان يؤجل ما يريده حتى يعود اخوها من الجبهة . ويستنتج (عويس) موافقتها على طلبه ليدها ، فيضىء الحب الطاهر حياته ، ولا يملك الا ان يغنى (اه ياليل يامنور) . . .

وفى مقابل هذا النوع المضىء من الحب ، والذى يعبر عنه اصحابه بالعمل والبناء والعرق والعطاء . نلمح فى خلفية الصورة المشرقة جزءا مظلما ، يختفى فيه العشاق الانانيين من الذين يغرقون انفسهم ويضيعون حياتهم بين انغام الموسيقى الصاخبة والرقصات المجنونة ، وقد اختلطت اشكالهم حتى لم يعد الناظر اليهم يفرق بين الولد والبنت منهم ، وهذا رمزا لاختلال الموازين ، واضمحلال الاحاسيس لدى هؤلاء اللاهين العابثين . . وندخل الى (كعبة اخرى للحب) ، فنعيش مع (فدوى) و (حسنى) وقصة حبهما الرقيقة التى لا يستطيعان تتويجها بالزواج السعيد الذى يسعى اليه كل حبيبين ، لان (فدوى) متزوجة ، ولذلك لا يستطيع (حسنى) الا ان يشترى لها (خاتما) رخيصا ووضعه فى اصبعها وكأنه يخطبها لنفسه ، حتى يعطى لعلاقتهما الطارئة تلك بعض الشرعية . ويقول (حسنى) بان خاتمه الرخيص هذا ، والذى اعطاه الحق فى تقبيلها واحتضانها بعد ان البسها اياه ، يقول بانه (يحمل قلبا وحبا . . وليس رمزا لعملية الشراء مثل دبلة الزواج) ويطلب منها ان تنسى ماضيها كله ، وان تبقى معه ، لانه

يراها لا تحب زوجها . وعندما تستفسر منه كيف عرف ذلك ؟ يخبرها بانها تعيش معه حياتها الحقيقية فى هذه اللحظات التى يعيشانها بعيدا عن الحياة الزائفة التى لا تجعل الرؤية واضحة امامهما . ويذكرها بقولها ان العصفور عندما يتحرر ينبض قلبه بقوة عندما يجد نفسه حرا وطائرا فى احضان الجمال ، ولان جمال الطبيعة يغسل القلوب من الزيف الذى يسيطر علينا ونحن نعيش وسط الزحام .

وتنتهى القصة بصورتهما وهما يغادران كعبة الحب (الى حيث لا يريدان أن يذهبا) ، وبهذه النهاية يلخص لنا المؤلف فكرته عن مثل هذا الحب الذى قد يأتى فى غير موعده ليجمع اثنين غير مستعدين له ، او هو يقول لنا بأننا مهما عشنا فى الجنة فلا بد ان نخرج منها . ألسنا نحن ابناء (آدم) و (حواء) طريدا الجنة الاولى ؟

(ووصلا الى الطريق العام . . . ونظرا خلفهما لحظة . . وسارا خطوة خطوة ، الى حيث لا يريدان أن يذهبا) . . .

والطريق العام هو المجتمع والناس والزحام ، وما نظر اليه خلفهما هو الماضى وذكرياته ، (خطوة . . خطوة) تعنى أنهما يسيران ببطء ، لانهما يفعلان ما لا يرغبان فيه ، ويذهبان الى حيث لا يريدان تأكيد على انهما يعيشان حياتهما (بلا معرفة واضحة . . . وبلا ارادة) . . . ويقدم لنا المؤلف بعد ذلك صورة مختلفة الشكل ولكنها مطابقة فى المعنى والجوهر لما قدمه لنا فى (كعبة اخرى للحب) ، اذ يعرفنا على حبيبين آخرين هما (نادية) الزوجة أم الاطفال الثلاثة التى تقرأ بعض الكلمات التى تركها لها حبيبها (اشرف) ورحل عنها ، وتتذكره ، وتتمنى أن تراه ، وعندما تغادر مقر عملها وتنزل الى الشارع الكبير تقابله ، ويصطحبها معه فى احدى سيارات التاكسى ، ثم يستقلا المترو الذى يتصادف أن يكون خاليا ، ويبثها حبه لها وشوقه اليها ، فتذكره بأن كلا منهما متزوج ومربوط بقيود الى اسرته ، وبينما هما فى حوارهما الهامس عن الحب الذى يجمعهما ، يعلو ضجيج المترو ، ويمتلىء بالناس ، فيغطى على كلماتهما ، ولا يستطيعان سماع

بعضهما ، فيلفهما الصمت ؟

انها صورة الحب الذى يخنقه المجتمع ، لانه لا يستطيع ان يعيش بين الناس ، ولانه علاقة غير شرعية ولا حق لاصحابها فيها . فالحب له مكانه المناسب وزمانه الطبيعى واشخاصه المناسبين من المحبين ، وبغير المكان والزمان والاطراف المناسبة للحب ، يصبح وهما لا يمكن استمراره فى الوجود ، وبالاكثر قد يصبح قصة تروى ولكنه ابدا لا يصبح حياة تعاش . . .

وبعد علاقات الحب الخاطفة ، والتى يسرقها أصحابها من اصحابها الشرعيين ، فى (لحظة حب) قد تجمع المحبين فى (كعبة) اخرى للحب) ، يصحبنا (فتحى الابيارى) معه الى مدينة (عارية من الحب) ، ولا يخفى عنا الكاتب اسم مدينته ، بل هو يقدمها لنا باسمها واضحا تماما (القاهرة) . . . (كن فى الاسكندرية احسن . . القاهرة غابة لا يعرف فيها الأخ آخاه ومن النادر أن تجد فيها صديقا) . . .

وعندما يصل الى القاهرة نكتشف معه ان العبارة السابقة صادقة الى حد بعيد ، فان البطل يفشل فى مقابلة اى شخص جاء لمقابلته ، الجميع مشغولون بالاعمال الكثيرة والاجتماعات الخطيرة ، ولا يعمل شيئا له قيمته ، اللهم الا المشاركة فى جنازة والدة احد النقاد الكبار من اصدقائه وزملاء عمله . وعندما ينتهى من الاشتراك فى مراسم الجنازة وتقديم واجب العزاء ، ينطلق الى زيارة أحد المطربين من اصدقائه ، وهناك لا يعيره أحد أى اهتمام ، فالجميع مهتمون باشياء اخرى هى فى نظرهم اهم منه (الطعام ، المناقشات السياسية) ، والكلمات المتقاطعة ، والاستماع الى الغناء) . . وهكذا مر عليه الوقت ، أو أضاع وقته فى هذه المدينة المزدحمة بالصداع والمتصارعين ، وأسرع خارجا من بيت صديقه المطرب :

(وخرج ورأسه تمور بأفكار كثيرة . وسار فى الطريق بخطوات

هادئة .. ثابتة .. بطيئة .. والمدينة الباردة الخاوية الا من بعض المارة تحاول أن تبتلعه) ...

واذا كانت المدينة الغابة (عارية من الحب) ، فان ذلك لم يمنع من وجود قلوب تنبض به ولو فى صمت ، وذلك لا يمنع من وجود المحبين الذى يحبون فى سكون مكتفين من الحب بنبضات قلوبهم ، ومعبرين عن حبهم بنظرات عيونهم .. ففى قصة (تك . تك . تك) ، نلتقى بذلك الصحفى الشاب الذى يحضر احتفال (جمعية رعاية الطفولة) ، فيلتقى بحبيبته السابقة (أميرة) ، وتلتقى عيناهما ، فيدور بينهما حوار طويل بلغة العيون ، ونعرف انها متزوجة برجل آخر ، وهذا الزوج يمثل القيد القانونى والرسمى الذى يفصل بينهما رغم عدم وجوده بنفسه معهما. أما نظرات عضوات الجمعية العجائز فانها تمثل القيد الاجتماعى الذى يفصل بينهما بوجوده معهما ، ويقطع علينا استماعنا الى همس المحبين الصامت بعيونهما ، نعيق عجوزتين من عضوات الجمعية ، اللواتى يفترض بانهن يقمن برعاية (الطفولة) والطفولة هى رمز الحب والبراءة ، بينما هن فى الحقيقة بعيدات كل البعد عن الاحساس برسالتهن وتأدية ماتحتاجه من واجبات .. وبينما الحبيبان يتناجيان بدقات قلبيهما ولمحات عيونهما ، نسمع عضوتى الجمعية العجوزتين تتحاوران :

(ـ ماذا يقولان لبعضهما ؟
ـ لا اعرف يا اختى .. مضت مدة على فراقهما ...
ـ انه يأكلها بنظراته ..

ـ وهى مسكينة ، ربما تضعف امامه ..
ـ أبدا ، انا قلت لها كلاما كثيرا ، وسمعت كلامى ...
ـ ياخسارة .. والنبى مناسبين لبعض ...
ـ اخرسى .. ماالذى تقولينه ؟ لابد أن يفترقا ...
ـ ياقلبك يااختى .. ياليتنى أجد من يحبنى ...

ـ حب ؟ لا يوجد حب ياعبيطة فى هذه الدنيا . . .
ـ ياقلبك يااختى ، كل يوم نسمع اغانى الحب وكلام عن الحب . . .
ـ كلام فارغ . . اكاذيب . . خداع . . انا متزوجة منذ اكثر من تسع سنوات . . أولاد وكرب أين الحب ؟
ـ ياقلبك يااختى ، لكن فيه حب . . .
ـ فى الحواديت والروايات . . فقط . . .)

وواضح ان العضوة التى تدافع عن الحب هى ولا بد عضوة جديدة ، تحلم بأن تجد من يحبها ، ويتزوجها . أما العضوة الثانية فهى زوجة فاشلة ، لا تجد السعادة مع أسرتها ،
وتعتبر حياتها الزوجية (كرُب) وتؤكد من واقع تجاربها الشخصية ، بأن الحب كلام فارغ واكاذيب وخداع . . . وفى نهاية الاحتفال ، يصافحها ، ويتحادثان أخيرا بلغتين معا ، هما (لغةالعيون) و(لغة الايدى) :
(لنفسها : هكذا بسرعة ، انتظر قليلا . . .
لنفسه : سأنتظرك غدا ، أو أى غد ، بعد أن ينتصر قلبك . .)
ويفترقان ، لتعود هى الى قيودها وأرانبها (أولادها) وعذابها المستمر لحرمانها من حبها الحقيقى ، ويعود هو إلى (أرانبه) وعذابه الدائم بذكرياته الكثيرة معها ، وانتظاره الطويل والقاتل للقائها . . .
وعندما نقرأ عنوان قصة (الدبلة) ، نتوقع بأننا سنقرأ قصة حب وخطوبة وزواج بين فتى وفتاة ، لكننا نفاجأ بأنها قصة حب من نوع آخر ، نوع جديد ورائع وعظيم ، حب الوطن ، وحب العطاء ، ان (نادر) قد جاء الى البنك ليقدم دبلته ودبلة زوجته (سوسن) لصالح المجهود الحربى ، وكان يحس بأنه يعمل عملا كبيرا ويقدم شئيا غاليا وعظيما ، ولكنه عندما سمع تلك الام وهى تأخذ الخاتم الذهبى من أصبع صغيرها وهى تقول له لكى يقتنع بما تفعله :
(هات الخاتم ياحبيبى ، وبابا يجيب لك غيره لما يعود بالسلامة من الميدان) . .

عندما سمع هذه الكلمات ، تضاءل شعوره بعظمة مايقدمه ، وأحس بان دبلته ودبلة زوجته (رخيصة جدا) الى جانب مايقدمه من المضحين بحياتهم والمقدمين ارواحهم فى ميدان القتال ، دفاعا عن حرية بلادهم وسلامة اوطانهم ، وتحرير اراضيها من أعدائها ومغتصبيها . . .
(ان دبلته الآن قد أصبحت فى تلك اللحظة الحرجة . . رخيصة . . . رخيصة جدا . . .

ولكنه آثر أن يقدم ماكان يحسبه غاليا عنده الى بلاده) . . . وفى (لقاء تحت امطار الربيع) نلتقى بحبيبين يتقابلان ، نفس الحبيبين اللذين تعودنا أن نلتقى بهما فى كل قصص المجموعة تقريبا . الزوجة التى تزوجت برجل آخر ، ولم تتزوج بحبيبها . والرجل الذى لم يتزوج بحبيبته ولكنه مازال يلتقى بها كلما استطاع الى ذلك سبيلا . وهى معذبة وممزقة بين واجباتها واخلاصها كزوجة ، ومشاعرها ورغباتها كامرأة وحبيبة . وهو يحاول ان يحتفظ بماضيه معها وبحبه لها ، آملا ان ينتصر قلبها المحب على عقلها المقيد ، لتعود اليه ويقف معها بعيدا عن كل العيون .

(وافترقا بالصمت . وحاولت هى أن تستنجد بساقيها لتختبىء فى زحام الناس . بينما وقف هو رافعا ناظريه الى السماء ، مسترجعا صورة ذلك الجبل الشاهق الارتفاع ، الذى وقف عليه ذات لحظة ، فى ذات يوم ، فى مكان ما ، وكانت هى معه . . وكانا معا بعيدا عن كل عيون . . يرتشفان أحلى ثمار الربيع . . الحب) . . . ولابد ان يكون القارىء اللبيب قد استنتج أن (الجبل الشاهق الارتفاع) هو سمو الحب الذى يربط بينهما قبل ارتباطها بغيره وارتباطه هو الآخر بغيرها . اما اختفائها فى (زحام الناس) فهو يرمز الى احتمائها بالمجتمع وضياعها فى زحام عاداته وتقاليده . . . وتنتهى المجموعة بقصة (بلا خوف) . قصة زوجة أحبت بعد أن تزوجت وأنجبت . وتحكى لأمها المشكلة التى تواجهها على أنها مشكلة تعانى منها صديقة لها . وتؤكد لأمها بان حب صديقتها هو حب حقيقى ، بدليل أنها أحست به بعد ان

تزوجت وانجبت وذاقت كل مافى الحياة الزوجية من متع . وتفاجئها أمها التى تمثل الاصالة الاجتماعية والقيود التقليدية ـ تفاجئها ـ بقولها (الذى يحب ياابنتى لا يخاف .. فانها حياته) . وتنتهى القصة باستماع (مريم) بطلتها الى كلمات اغنية تلخص وجهة نظر المؤلف فى الحب :

(خذ عمرى كله .. الا ثوانى أحبك فيها) ..

فالحب عنده هو العمر كله ، حتى ولو كان مجرد لحظة قصيرة وخاطفة . وقد أكد بذلك الرأى ما كرره كثيرا ، من عبارات أخرى تحمل نفس المعنى ، ومنها على سبيل المثال وليس الحصر :

(أن نحيا لحظتنا . . .) ، (لحظات الحب الحلوة ، قصيرة جدا ، ولكنها تعطى عمر الانسان شبابا دائما . . والمغفلون هم الذين لا يرتشفون من لحظات حبهم رحيق السعادة ، لأن العمر قصير جدا) ، (اذا كانت هناك لحظة أمل ، لحظة حب صادق ، فلماذا لا أعيشها) (ان فتحى الابيارى يتخذ من قيثارة الحب وسيلة ليعزف عليها ألحانا تهز وجدان الانسان الغارق فى دوامة الحياة المادية ، ولولا الحب ما استطاع الانسان ان يواصل الحياة . وعندما نعرف الحب بصدق ، فاننا نعرف المقاومة) . . مقاومة الصراع الدامى الذى يهدد وجودنا فى كل لحظة بالفناء . .



٣ = المرأة :

يقدم لنا (فتحى الابيارى) فى مجموعته (قصص قصيرة جدا) عددا من النماذج الواقعية للمرأة ، فهو يلتقط هذه النماذج من الحياة الحقيقية التى يعيشها . وكل امرأة يقدمها لنا ويعرفنا بها ، يمكن ان نقابلها فعلا فى المجتمع الذى نعيش فيه .

فهو يقدم لنا (الأم البسيطة ، والزوجة المخلصة والمضحية بكل ما تملك) ، وهذه هى المرأة التى ذهبت الى البنك لتقدم اسورتها الذهبية وخاتم ابنها الصغير مشاركة بهما فى تدعيم المجهود الحربى ، وذلك بعد ان قدمت زوجها مقاتلا فى الجبهة من اجل تحرير ارض الوطن وحمايتها من الاعداء :

(السيدة الواقفة امامه ومعها ابنها الصغير الذى لا يتعدى السابعة من عمره ، ترتدى ملابس بسيطة ، وكانت قطع زينتها فى عنقها ورسغها واصابعها ، هى العدم . ولفة صغيرة من قطعة قماش ابيض كانت تقبض عليها باصابعها وتحتضنها الى صدرها . وابنها الصغير واقف أمامها يلعب فى خاتمه الذهبى) . . .

وعندما ناداها موظف البنك ، رآها (نادر)بطل قصة (الدبلة) وهى (تقدم اليه اسورة من الذهب كانت فى لفة القماش الصغيرة ، واخذها الموظف ، بينما انحنت السيدة على ابنها الصغير وقالت له :

ــ اخلع الخاتم يا هشام . . .

وامتنع الصبى وهز كتفيه . وتابعت هى الحديث قائلة لابنها :

ــ هات الخاتم يا حبيبى . . بابا ح يجيب لك غيره لما يعود بالسلامة من الميدان . . .) . . .

لقد قدمت لوطنها كل ما تملك ، زوجها الذى أحبته ، وأسورتها الذهبية التى هى رمز أمانها وغناها ، وفرحة ابنها بالخاتم الذهبى الذى كان يلعب به سعيدا وهو يزين اصابعه . . .

ثم يقدم لنا نموذجا آخر للمرأة المضحية والتى تقدم حياتها لوطنها ، وذلك من خلال (نبوية) عاملة البناء التى تحمل على رأسها الرقيق الصغير (قصعة) الاسمنت و (قفف) الزلط ، حتى تشارك فى بناء قواعد الصواريخ التى يشيدونها للدفاع عن الوطن والارض . .

وهذه العاملة البسيطة والفقرة ، تؤجل موافقتها على الزواج من زميلها وحبيبها (عويس) الى حين عودة اخوها من الجبهة ، وهى تؤكد بذلك على ان الفرحة الحقيقية هى فرحة الوطن بانتصاره ، وان السعادة الحقيقية تنبع من حرية الوطن وتخلصه من اعدائه .

وعلى الخط الموازى لعطاء (نبوية) وجهدها فى البناء ، نرى هناك فى الظلام اشباح (البنت) التى (تخنفست) فضاعت هويتها ولم تعد تختلف كثيرا عن (الولد) الضائع معها و (المتخنفس) مثلها ، والتى تشبهت به أو تشبه بها ، فضاعا كلاهما فى حلبة الرقص المعتوه الموسيقى التى بلا معنى . . وقد وفق المؤلف عندما عرفنا بـ (نبوية) و (عويس) ، بينما ترك (الخنافس) فى طيات المجهول الذى اختارا البقاء فيه باختيارهما الحر . . فمجال العمل والعطاء قريب منهما ، ومحتاج اليهما . . لكنهما اطاعا غرائزهما الانانية . . .

والمرأة الضعيفة والمطحونة ، والتى تملك القدرة على الدفاع عن نفسها ضد الاعتداء الذى يقع عليها دون مبرر منطقى من الرجل ، سواء كان زوجها أوكان شابا شاذا ومريضا بالرغبة فيها ، هذه المرأة نلتقى فيها فى قصتى (من الشارع) و (مزق الصمت صوت امرأة) .

ففى (من الشارع) نرى المرأة المكومة مع اولادها على الارض ، بينما راح زوجها (عنتر) يضربها بقدمه فى قسوة وهو يشتمها . . وتقول للناس الذين تجمعوا حولها دون ان يتدخلوا لوقف الاعتداء عليها ، بأن زوجها يضربها كلما طلبت منه نقودا لها ولاولادها . . . ومن مذياع يحمله احد المارة الفضوليين ، ينطلق بيان عسكرى عن نجاح قواتنا الخاصة ومجموعة من الفدائيين بالحاق الخسائر الفادحة بقوات العدو . . .

والأمر لا يحتاج الى تعليق كما نرى ، فالقصة بسيطة ، والشخصيات مرسومة باختصار واتقان ، والموازنة بين ما يفعله الفدائيون ورجال القوات المسلحة من ناحية ، وبين ما يقوم به (عنتر) ضد زوجته معبرة ومؤثرة ، ومجرد اختيار المؤلف لاسم (عنتر) أثار ولا شك تيارا من الصور الساخرة . . . والمجتمع الذى يقف ليتفرج على المرأة المسكينة التى يضربها زوجها بقسوة حتى يملأ وجهها كله بالدم ، يجعلنا نعجب منه ونحقره لأنه لا يحاول حمايتها من زوجها المتوحش . . وينفض الجمع ، وينصرف الجميع . .

(وتفرقت الأشباح ، وعاد الشارع الى أصواته الشاحبة ، وصمت القبور الذى يتمزق بين لحظة وأخرى . . بنباح الكلاب) . . أما فى (مزق الصمت صوت امرأة) فيرسم لنا المؤلف صورة امرأة من الفتوات ، فيها صفات الرجل اكثر مما فيها من المرأة . .

(كانت سمينة كالمصارعين . سمراء . منكوشة الشعر . مثل مكنسة من الليف ، هدها الكنس . . . كانت أشبه بغوريللا . .) . .

ورغم شكلها المخيف هذا ، فانها لم تسلم من مضايقة ذلك الشاب الذى كان يقف وراءها فى زحام الاتوبيس . وعندما حاولت ان تبعده عنها ، وان تتخلص من مضايقته الشاذة لها :

(ـ قلت لك ابعد يا كلب . . . .

ـ اخرس . .

ـ يا جبان . . بتقرصنى . . .

ـ اسكتى . . .

ـ ولك عين . . .

ـ . . . .

ـ يا دهوتى . . الحقونى . . بتضربنى يا قليل الأدب . .

يشتبك معها فى عراك ، فيضربها حتى يسيل دمها ، وتمسك هى بثيابه حتى تمزقها ولا يكون هناك مفر من ذهابهما الى قسم البوليس مع بعض ركاب الاتوبيس . ونسمع تعليق أحدهم :

(لا حول ولا قوة الا بالله . . شبان فاسدين . . آخر زمن . . سايب اليهود ، ويبقرص فى الستات . . شبان ورق) . . .

ويحولهم الضابط الى النيابة لاستكمال الاجراءات ، ويكتشف الرجل الذى تطوع بالشهادة مع الشاب ، وكأن المؤلف ينبهنا الى ان الرجل يناصر الرجل ، يكتشف الشاهد ان محفظته سرقت . ان المرأة الضائعة فى زحام الاتوبيس ، تتعرض للاعتداء على كرامتها وعلى انوثتها وعلى حياتها ، وعندما تحاول الدفاع عن نفسها تتعرض ايضا للاعتداء على جسدها بالضرب ، ثم يتكتل ضدها مجتمع الرجال (الشاب والشاهد والراكب الذي يصفها بانها غولة) ، ولكن تحصل على حقها فى الحماية والامان ، تبدأ رحلتها الطويلة مع القانون الذى تمثله (النيابة) . . . ولا تملك الا الاستسلام لقدرها ، وكل ما تستطيعه هو ان تصرخ لعل احدا يسمعها فيسرع لانقاذها واعطائها حقها من الحياة الامنة :

(وتحركت المرأة وخلفها الشاب ، والشرطى ، الى حجرة اخرى . . وصوتها يغطى على كل الضوضاء) . . .

وفى قصة (عارية من الحب) ، يعرض لنا المؤلف امرأتين ، الاولى هى الفدائية التى كانت صورتها تحتل الصفحة الأولى من الصحيفة التى كانت على المائدة الصغيرة امامه ، بكل ما تمثله حياتها من عطاء وتضحية وتقشف شديد تدل عليه ملابسها العسكرية المحتشمة والخشنة .

والثانية هذه السكرتيرة البيضاء شبه العارية ، والتى كان جسدها كله يتعرى وينكشف عندما تنحنى لتلتقط ورقة وقعت منها على الارض . . ويحاول هو ان يوجهها بطريق غير مباشر :

(ــ ما رأيك فى هذه الفتاة الفدائية ؟

ـ من ناحية ؟

ـ من اى ناحية فى رأيك . . .

وسكتت . . . . . . وقال لها (اسامة) وهو مازال ينظر الى صورة

الفدائية :
- منظر ملابس الميدان والمرأة ترتديها .. جميل ...
مارأيك ؟) ...
ويبدو ان كلماته قد اصابت هدفها :
(وشيعته السكرتيرة البيضاء المليئة ، شبه العارية ، بنظراتها حتى اختفى خلف الباب . وقد أحست كلماته القليلة قد عرت عريها) ...
ورسم هذه الصور المتناقضة والمتوازية ، يصنع عند القارىء ذلك الاحساس بالدهشة الذى يعمق الصورة ويجسدها له . وصدق الشاعر الذى قال مامعناه (والضد يظهر حسنه الضد) ...

أما نموذج المرأة المتزوجة ، التى تزوجت بغير حبيبها ، والتى ما تزال تذكره وتشتاق الى لقائه ، وتفعل المستحيل لتلتقى به حتى تلتقى بماضيها الجميل وذكرياتها التى لا تستطيع ان تنساها ، هذا النموذج نلتقى به كثيرا وفى اكثر من قصة من قصص المجموعة ... ومع نفس هذا النموذج للزوجة التى يشدها حبها القديم اليه ، نقابل نموذج الزوجة التى تلتقى بالحب بعد الزواج وانجاب الاولاد ...
وقد يكون قصد المؤلف من تقديم هذين النموذجين يعبران فى احد وجهها عن اخلاص المرأة لحبها القديم او بحثها وفرحها بالحب الجديد الذى تلتقى به بعد فوات الاوان وارتباطها بزوج تحول الى سجان لها مع ارانبها (أولادها) فى زنزانتها (بيته) ، كما قد تكون فى وجهها الثانى لعملة العلاقات العاطفية ، تعبيرا عن خيانة المرأة لزوجها وابو أولادها ....

وهى نماذج كثيرة كما قلنا من قبل ، او كما سنرى فيما يلى من أمثلة :
ان (فدوى) بطلة قصة (كعبة اخرى للحب) تقابل (حسنى) فى احدى رحلاتها الى لبنان ، وتستسلم الى دعوته لها ، وعندما يقبلها لاول مرة يدور بينهما الحوار التالى :
(- ارجوك .. كفى .. انت تعرف اننى مرتبطة برجل ...

ـ أعرف . .
ـ والذى تفعله . . هل تراه صوابا ؟
ـ صواب وخطأ . . هل فى هذا المحراب ايضا نتناقش فى الصواب والخطأ . . اننا فى الجنة ، والانسان لن يحيا عمره الا مرة واحدة . .
ـ ولكننى مرتبطة . . .

ـ هل تحبين هذا الرجل ؟ (يقصد زوجها طبعا) . .
ـ ولكنه يحبنى . . وارتبطت به . .)
وهى هنا لا تستطيع ان تكذب على نفسها وان تقول بانها تحب زوجها ، وكل ماتقوله هو انه هو يحبها ، وانها هى ارتبطت بزوجها بدون ان تحبه ولو بالكذب ، وما اضعفه من ارتباط .

(ـ لم تجيبى عما سألته ؟ هل تحبينه ؟ أشك فى ذلك ؟
ـ كيف عرفت ؟
ـ لان حياتنا الزائفة لا تجعل الرؤية امامنا واضحة الا بعد فوات الاوان . ثم اننا نحيا بلا معرفة واضحة . . بلا ارادة . .
ـ كيف ؟

وسكت (حسنى) لحظة . ونظر الى (فدوى) ، فوجد عينها ملاءى بالدموع ، فاقترب منها ، وتلاصقت شفاهما ، واحتضنها ، وغابا لحظة فى نشوة صافية . وسمعها وهى تهمس له :

ـ أحس اننى سأطير . . لا تتركنى . . اضغط على . .)
وهكذا تنسى نفسها فى لحظة واحدة . وتنسى زوجها واولادها ، وتسلم قلبها وجسدها لأول رجل تحس بأنه يمنحها ما تظن انه الحب الحقيقى الذى حرمت منه ، ولم تستطع ان تجده حتى مع زوجها الذى تستطيع ان تنكر انه يحبها . . ولكن هذا الحب المفاجىء والمتسرع والمصطنع ، والذى تشارك الطبيعة فى خلقه بجمالها وهدوئها ودفئها المحيط بهما ، هذا الحب ينتهى بخروجها مع حبيبها من(كعبة الحب) ، ليسيرا الى حيث لا يريدان ان يذهبا . . .

انه الحب الغير طبيعى ، وكل ما هو غير طبيعى محكوم عليه بالموت ، ولا نملك الا ان نحكم على (فدوى) بأنها (زوجة خائنة) اساءت بخيانتها الى نفسها ، والى زوجها ، والى اولادها . وقبل كل هذا وبعد كل ذلك اساءت الى القيم الدينية والتقاليد الاجتماعية والمبادىء الاسرية . . .

لانها لم تكن تربطها بـ (حسنى) اية علاقة سابقة ، ولم تكن تجمعها بعد اية ذكريات قديمة لحب قديم لم يكتمل بالجمع بينهما . واذا كنا ـ افترضنا ـ قد نغفر للزوجة التى قد تتورط فى علاقة تجدد بها ماضيها الجميل مع حبيب فرق الدهر بينها وبينه لظروف خارجية عن ارادتها وارادته ـ وهو افتراض قد نتقبله نظريا بصعوبة ، ولكننا نرفضه تماما بالتأكيد ـ ولكننا ابدا لا نقبل ولا نستسيغ انشاء الزوجة لأية علاقة حب مع أى رجل تجمعها به رحلة لهو أو ظروف عمل لانها اذا ادعت بأنها لا تحب زوجها مثلا ، فلماذا لا تصارحه بالحقيقة وتفارقه بشرف وهدوء ؟

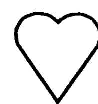
وهذه قد تكون قضية اخرى ، تتصل بعلم الاجتماع اكثر مما ترتبط بفنون الأدب ، التى تهتم بعرض الصورة التى تعرض لها وتلتقطها من واقع الحياة ، لتنير امامنا سبل التعرف اليها والبحث عن اسبابها ومحاولة التوصل الى طرق علاجها . . .

ويتكرر نموذج المرأة (الزوجة) التى تحب رجلا غير زوجها الذى عاشت معه وعاشرته وانجبت منه ابنائها ، فى اكثر من قصة ، نراها فى (نادية) التى احبت (اشرف) فى قصة (لحظة حب) :

(فقد عاشت حياتها سنين طويلة ، ولم تدر طعم تلك السنوات رغم زواجها ، وانجابها ثلاثة أطفال . . الا عندما التقت بأشرف ، أو بمعنى أصح ، عندما استيقظ قلبها على لمسات حب حانية كلها وفاء وحنان من قلبه ولمسات يده ورحيق شفتيه . عندئذ ، تفتحت عيناها لأول مرة على الحياة . . وهرعت اليه بكل هواها العطشان ، تلتمس فى صدره وفى شفتيه كل الحب . . والحب كله) . .

وينتهى حبها نهايته الطبيعية التى لابد أن ينتهى اليها وبها مثل هذا الحب الخادع والمحرم ، اذ يغطى صوت الحياة وضجيج الناس على همسات حبها ، ويلفهما الصمت (هى) و (حبيبها) .. ونكاد أن نحس بهذه النهاية التى لم يكتبها المؤلف أبدا ، والتى هى طبعا ولابد أن تكون (عودة الزوجة الى زوجها والى أولادها ، ونسيانها لمشاعر الخيانة والضياع التى كادت أن تسقطها وتقضى عليها باسم الحب) ... وفى (لقاء تحت أمطار الربيع) تلتقى بزوجة لا اسم لها ، وكأنها تتعمد اخفاء نفسها عنا ، مع رجل أحبته ، وبعد أن نعرف أن هذا هو لقائهما الثانى معه ، نفاجأ بها وقد صممت على انهاء علاقتها به وعدم لقائه مرة ثانية ، لانها تعذبت كثيرا بسبب أولادها ، وكأننا بأمومتها تحميها من السقوط فى جب الحب الزائف ، وفعلا تركته وأسرعت بعيدا عنه لتختفى فى (زحام الناس) الذى هو رمز واضح الى المجتمع وعاداته وتقاليده ....

أما (مريم) بطلة قصة (بلا خوف) فتكتفى فى حبها بالتخيلات الجميلة ومشاهدة الأفلام العاطفية التى تدغدغ حواسها وتهدها مشاعرها ، ورغم حلاوة ذكرياتها الا أنها تعانى من صراع عنيف بين (قلبها) و (عقلها) أو بين (من أحبته ودخل عالم قلبها البكر) وبين (زواج دام عشر سنوات وأنجبت فيها طفلين) ، وتكتشف عندئذ أن العشرة وحدها لا تولد الحب) كما قالت لها أمها ... وتسرح مع أغنية عاطفية ، وتتوه نظراتها الى بعيد ، الى حيث تطير مع أحلام يقظتها ... ويتمنى القارىء أن تكون قد اكتفت بعالم أحلامها ، والا تكون قد حاولت أن تعيش أحلامها واقعا مليئا بالخيانة المغلفة بورود الحب الخادع ؟!! ومهما كانت المبررات ..



٣ ـ الحياة .....

الحياة فى (قصص قصيرة جدا) صراع مستمر للحصول على ضرورياتها ، فهى حركة وتصادم من أجل الرزق ، وهى عنف وذل للحصول على النقود ، وهى زحام وعراك وخسارة بلا سبب ، وهى كفاح واصرار تحطيم للعراقيل من أجل لقمة العيش ، وهى أيضا قوة غاشمة ومدمرة تحاول أن تقضى على البراءة فى عالمنا الذى نعيش فيه . . .

ففى (كلمة حلوة) يحاول ذلك الشاب الباحث عن رزقه ان يضع الكشك الخشبى فى المكان المرخص له به ، لكن صاحب الورشة يصمم على منعه من ذلك حتى لا يسد باب الورشة وبعد أخذ ورد ، وشد وجذب ، يوافق الشاب على وضع الكشك (مصدر رزقه) فى مكان آخر بالقرب من محطة الأتوبيس ، ويصرخ صاحب الورشة من بعيد : (الأرزاق من عند الله . . . لكن لا يسد باب الورشة) . .

وفى (عروسة) يدمر الجنود الاسرائيليون كل شىء ، ويضربون البيوت بقنابلهم فيحطمونها وفى أعمالهم الشيطانية والعدوانية هذه لا يأبهون بالمرأة المشلولة التى لا تستطيع أن تغادر سريرها ، ولا يهتمون بالعروسة (الدمية) التى تريد الطفلة الصغيرة أن تحضرها من بيتها ، وهكذا يهدمون كل شىء ليقتلوا الاصالة (المرأة العجوز) الغير قادرة على التعبير عن نفسها (المشلولة) ، ويقتلوا أيضا البراءة (العروسة) التى لا تستطيع أن تقاومهم (دمية) . . ورغم ذلك يبقى باب الأمل مفتوحا بكلمات الأم الصامدة تقول لابنتها : (لا تبكى يا حبيبتى . . سنحضرها لك) . . .

و (من الشارع) حيث الظلام وبعض أشباح المارة ، يضرب (عنتر) زوجته ويشتمها لأنها تطلب منه نقودا ، تواجه بها متطلبات حياتها وحياة أولادها الأربعة . . وتقول للناس الذين يسألونها عن سر ضربه لها ، دون أن يتدخلوا بجدية لايقافه عند حده : (سايبنا بدون

مليم . . وأطلب فلوس فيضربنى) . . (ومن الشارع) يقدم لنا المؤلف صورة أخرى للقوة الغاشمة التى تعتدى على الضعفاء لانهم يحاولون المطالبة بحقوقهم والحصول على ما يمكنهم من الاستمرار فى الحياة . . وكم كان المؤلف موفقا عندما اختار للزوج اسم (عنتر) ، وكأنه يقول لنا بسخرية : هذه هى شجاعة عصرنا . . ورجال عصرنا . . وهذا هو (عنتر) العصر الحديث . . . . أنه لا يظهر شجاعته ولا يستعرض قوته ضد أعداء بلاده الذين تتحدث الأخبار عن مقاومة جنودنا لعدوانهم ، بل يظهر عضلاته ضد امرأته وزوجته الضعيفة . . . واذا لم يكن هذا هو الجبن واذا لم تكن هذه هى النذالة والخسة ، فكيف يكونوا اذن ؟!

و (الحياة) فى (مزق الصمت صوت امرأة) عبارة عن زحام شديد وعراك مستمر ، وضجيج لانعرف له سببا ، لكن صوت المرأة المعتدى على حيائها وعلى كرامتها ، والتى يتكتل الرجال (الشاب ، والرجل الشاهد) ضدها ، ويعجز المجتمع (المتمثل فى الزحام وركاب الأتوبيس)عن حمايتها ، ويذهبون بها الى قسم الشرطة (القانون) حيث تكتشف أنها ستواجه الكثير من الاجراءات الطويلة التى قد يضيع بها حقها فى الحماية والأمن ، خصوصا مع وجود الرجل الذى يشهد ضدها ، والذى تقتص منه السماء بضياع محفظته ، جزاء وفاقا لشهادته التى من الواضح لنا زورها وكذب صاحبها وتحامله على المرأة بقوله : (لو كانت محترمة ، لما فعلت كل هذا ، وبهدلت نفسها) . . . .

ويبقى الحق فى النهاية معبرا عن نفسه بالصراخ ، لعله أن يشق قلب الضجيج ويظهر فى النور ويراه الناس فيساندونه وينصرونه ويقول الأستاذ الأديب شيخ القصة العربية (محمود تيمور) عن قصة (زلطة) :

(لقد طالعتنى مجلة (الأديب) اللبنانية بقصة جديدة لك ، أسميتها (زلطة) وهى فى الحق (لؤلؤة) . واذا كانت الزلطة من

الأحجار ، فان من الأحجار ما هو حجر كريم .

حقا ، انى سعدت بقراءة قصتك هذه ، واسترعى انتباهى منها ، أنها ـ على دقة حبكتها الفنية ، وسلامة سياقها القصصى ـ تمتاز بما هو أثمن من الحبكة وأغلى من سلامة السياق ، ذلك هو انسانية الشخصية التى تتحرك فى اطار القصة ، وانسانية الموضوع الذى احتوت عليه .

ولقد تجلت براعتك فى اثارة الاشفاق على البؤس فى صورة من صوره ، وفى ابراز نفسية المجتمع ـ على اختلاف نماذجه ـ فى مواجهة ما يشهد من نكد الأشقياء والتاعسين) . .

ونحن مع الأستاذ الرائد (محمود تيمور) فى كل ما قاله عن (زلطة) ـ القصة والبطل وكنا نود أن نطلع القارىء على القصة لولا ضيق المجال من ناحية ، وامكانه الاطلاع عليها فى مجموعتها التى نشرت فيها ، بالاضافة الى اعادة نشرها فى مجموعة (كلمة حلوة) التى صدرت عام (١٩٧٨) . .

ونعود الى قصة (زلطة) لنرى ذلك الرجل البسيط العارى الصدر الذى يفعل المستحيل من أجل حصوله على قرش واحد يمكنه من الحصول على ضروريات حياته :

(ذلك الرجل العارى الصدر ، وهو يقدم الاعيبه البطولية أمامهم ، وكان الرجل يقوم بعدة حركات بهلوانية ، ويرتمى على الزجاج المهشم ، ويجعل أحد المارة يقف على بطنه ، ويصرخ فى الذين تسمروا فى الكراسى أمامه على القهوة ليشاهدوا براعته . وتضايق الرجل لانشغال الكثيرين عنه ، فترك الألعاب العادية ، ملأ فمه بقليل من (الكيروسين) وأشعل عدة الشغل ، وبكل ما فى صدره من مرارة أطلق رذاذ الكيروسين من فمه على عدة الشغل المشتعلة ، فأحدثت ذلك اللهيب) . . .

ثم يختار (زلطة) كبيرة ، ويظل يضربها بيده ، حتى تطايرت شظاياها ، وبعدها قام يدور ليجمع من المتفرجين الذين انصرف بعضهم ، وحول آخرون رءوسهم عنه وكأنهم لم يستمتعوا بمشاهدته ،

ـ ليجمع ـ بعض القروش القليلة . . وانصرف بعدة شغله ، وركل الزلطة المكسورة بقدمه ، ثم سار وهو يتمتم (يا كريم) . . . .

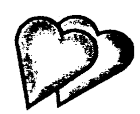
انها الحياة فعلا بكل ما فيها من متناقضات وصراعات ومصاعب وعراقيل . الحياة التى يجلس فيها الكثيرون على المقاهى ليشربوا مشروب (الكسل اللذيذ) ، ويعاكسوا امرأة قد تكون عابرة أمامهم بالطريق . . بينما يقدم الآخرون حياتهم كلها عرقا والما وكفاحا ، ينامون على الزجاج المهشم ، ويتركون الناس يقفون فوقا منهم ، ويشربون المرارة ويأكلون النار ، ويكسرون أيديهم التى تئن وهى تصطدم بالزلط (مصاعب الحياة) لكى تحطمها . كل ذلك ، بالاضافة الى سخرية الآخرين بهم ، واشتهزائهم بما يفعلونه ، بل وطردهم لهم (كما فعل الجرسون مع (عم زلطة المسكين) ، من أجل الحصول على قرش واحد . . . ويحملون (كراكيبهم) أو (عدة شغلهم) من مكان الى مكان بحثا عن هذا القرش الصغير ، معتمدين فى سعيهم على الله (الكريم) . . والحياة (غابة ، لا يعرف فيها الأخ أخاه ، ومن النادر أن تجد فيها صديقا) ، كما أنها أصبحت اليوم معقدة وصعبة ، ولا هدف لمن يعيشون فيها الا (اللحلوح) أى (الجنيه) أو (النقود) حتى يحققوا كل ما يريدون تحقيقه . . لكن من يركب (قطار الأمل) المنطلق بصاحبه الى المجد الذى يبحث عنه بالسفر والحركة والانطلاق ، يرى الحياة من خارج نافذة القطار وقد أصبحت (مهزوزة وباهته) . .

(مهزوزة) لان المعايير فيها قد أصبحت مختلة والموازين مغشوشة والأوضاع مقلوبة . والدليل على ذلك ما ذكره الصديق القديم الذى قابل البطل فى القطار ، من أنه يقوم بالتدريس (تربية العقول ، وتنميتها ، وامتاعها بفواكه المعرفة الخالصة) ويضيع عمره مقابل (ملاليم) ، بينما أية راقصة (تمتع العيون بسراب جسدها القانى) تحصل فى رقصة واحدة على ما يعادل دخله فى عدة سنوات ؟! .

انها اذن حياة المظاهر الخادعة ، حياة اللاهث وراء العدم ،

والصراع الدامى من أجل اللاشىء ، لانها باختصار (حياة التراب) . . . لقد نجح المؤلف كثيرا فى التعبير عن واقع الحياة التى نعيشها ، وذلك بتقديم المتناقضات التى تقابلنا دائما فى رحلة حياتنا ، ونكتفى هنا بتذكير القارىء العزيز بما قدمناه منها عند كلامنا عن قصة (عارية من الحب) ، فالكاتب يقدم من خلالها مقارنات كثيرة ، بين القاهرة (الغابة) وبين الاسكندرية بشواطىء هدوئها . بين السكرتيرة (شبه العارية) والفدائية بملابسها العسكرية الخشنة بين سكان الزمالك وسكان المدافن . . ان (فتحى الابيارى) فى هذه القصص ، يحتضن قضايا وطنه ، ويعبر عن مشاكل مجتمعه ، ويصور فجيعته ومأساته فى الواقع الاجتماعى الذى يراه ويعايشه ويصطدم به . . ولكنه لا يستسلم لهذا الواقع المؤلم ، ولا ينهار أمام هذه المأساة أو المآسى التى تصدمه بقسوتها ، بل يحللها ويقدم الحل فى ثنايا تعرضه لها ، وهو الحل المثالى الذى لا حل سواه ، والذى يتلخص فى كلمة واحدة هى (الحب) . . الحب الصادق ، والحب المضحى ، والحب الجميل ، للجميع بدون تمييز ولا تقصير .

الحب الذى يقهر المستحيلات (لأن الذى يحب يسحق المستحيل) .



(رحلة خارج اللعبة)

●● قرأت هذه الرواية أول ما قرأتها وتابعتها كحلقات مسلسلة ، بدأ نشرها فى (مايو ١٩٨٠) بالعدد الثالث من مجلة (عالم القصة) . وهى المجلة التى يصدرها نادى القصة بالاسكندرية .

ثم قرأتها مرة أخرى عندما صدرت كرواية متكاملة فى كتاب واحد ، عندما صدرت فى ذلك العدد الخاص من مجلة (عالم القصة) أيضا ، والذى ضم فصولها التسعة عشر كلها (فى اغسطس ١٩٨٣) .

وما بين بداية متابعتى لها كفصول منفصلة توالى نشرها على مدى زمنى يزيد عن العام والنصف عام تقريبا (من (مايو ١٩٨٠) الى (اكتوبر ١٩٨١) وبين مطالعتى لها كعمل واحد ضمته دفتى كتاب واحد (اغسطس ١٩٨٣) ، أحسست بأن (فتحى الابيارى) لم يتغير كثيرا عنه منذ ربع قرن من العمل فى مجالى الصحافة والادب ، أو بعد أكثر من ربع قرن من القتال والمعارك التى خاضها فى غابات الحياة الواقعية من جهة ، وبعد نفس المدة من الزمن الذى حلق فيه فى سماوات الابداع والانتاج الادبى . واكتشف أن (فتحى الابيارى) فى هذه الرواية التى وصفها بأنها (رواية فى أقاصيص) يثبت ويؤكد بأنه مازال كما هو ، وكما عرفه القراء الذين تعرفوا اليه وعاشوا مع ابداعاته ، واستمتعوا بكتاباته ، وقدروه وأحبوه .
لقد أثبت بهذه الرواية أنه مازال الأديب المبدع والمجدد ، والذى يحاول دائما تقديم أعمال رائدة يسجل بها سبقا فى ميدانه . وأثبت أنه مازال يعيش للحب بمعناه الشامل وآفاقه الرحبة التى لا تحدها أسوار ولا تحدها خطوط ولا قيود .

لقد قرأنا (فتحى الابيارى) كاتبا محبا لكل الناس ، وسمعناه يدعو الناس الى حب بعضهم البعض بلا تفرقة ولا تمييز . كانت كل كتاباته عبارة عن مجموعة من الاهازيج والاناشيد التى تمتزج معا لتردد(ترنيمة حب) يصمم على ترديدها ويدعونا لمشاركته فى التغنى بها (بلا نهاية) ، وكانت قصصه وكتاباته كلها (كلمة حلوة) ينبض بها قلبه الطيب والمحب . وكان يعيش حياته وكأنه نبضة حية من نبضات (قلب الحب) التى تملأ الحياة بالجمال والحنان والمعانى النبيلة . . . وبعد أن صحبناه فى رحلاته الكثيرة التى قام بها حول العالم ، هاهو يدعونا ليصحبنا معه الى أغرب واصعب رحلاته كلها .

انها ليست (رحلة صيد قصيرة) ، ولا هى (رحلات حب سرية) ، ولا يمكن أن تكون احدى رحلات أحلامه فى (عالم العجائب) أو (عالم الغرائب) .
لأنها رحلة خارج كل عالم ، وأيضا هى رحلة فى أعماق النفس البشرية . . واذا كان فى رحلاته السابقة قد ركب السفن والمراكب ، وحلق بالطائرات ، واستقل القطارات والسيارة ، لكى يزور بلاد الله ، ويتعرف بسكان المعمورة ، ويعرفنا بهم ، ويقرب بيننا وبينهم ، وهى رسالة حب بين مختلف سكان الأرض يقوم بها ويؤدى واجباتها سعيدا راضيا ، فانه فى روايته هذه (رحلة خارج اللعبة) يركب مراكب الألم ، ويستقل أنّات وتأوّهات المرض ، ويحلّق بأجنحة شفيفة من الايمان الذى لا يهتز ولا يضعف أمام المحن ، مسلما نفسه لارادة الله سبحانه وتعالى ، التى لا تسبقها ولا يمكن أن تردها ارادة .

وهو هنا ينظر الى الحياة التى عاشها فى ماضيه ، ويتخيل الأيام القادمة ، ثم يطير بحاضر وذكرياته ، وبرؤاه وتخيلاته ، الى حيث يرتفع فوق كل شىء يمكن أن يربطه الى هذا العالم الارضى والترابى ، ويتخلص من كل ما يشده الى أسفل ليحلق فى سماوات الأمل والمشاعر الرقيقة والاحاسيس المرهفة والرؤى النورانية ، ليتذكر

ماضيه ، ويرى ويتأمل حاضره ، ويتخيل مستقبله . ثم يقدم لنا خلاصة ماتذكره وما رآه وما تخيله ، خبرة وحياة وأملا ، يقدمها لنا كأسا بلّورية رائعة من الأدب الصوفى الشفيف الذى قد يكون كالدواء المرير الطعم ، ولكنه ضرورى لما فيه من فوائد عديدة ، اذ تبنى الجسم وتساعدة على مقاومة الامراض التى تهدده بالفناء .....

تتكون (رحلة خارج اللعبة) من تسع عشرة أقصوصة ، قد تبدو كل منها للوهلة الاولى وكأنها منفصلة بنفسها ومنفردة بذاتها ، ولكن النظرة المتأنية والمطالعة المتأملة تكتشف أن كلا منها لا يمكن أن تبقى وحدها ، وأن كل اقصوصة منها تشدنا شدا لمطالعة ما يليها من أقاصيص اخرى ، وهكذا نبدأ بالأقصوصة الأولى فيأخذنا الشوق ويغرينا الفضول حتى نصل الى الاقصوصة الاخيرة .

فالقراءة المتسرعة قد توحى الينا ان كل أقصوصة من أقاصيص الرواية ، غير ذات صلة بغيرها من الاقاصيص الاخرى ، ولكننا اذا غصنا فى أعماق العمل وبذلنا جهدنا المخلص لاكتشاف جوهرها وللوصول الى جواهرها ، فاننا سنلمس وسنرى أن خيطا شفافا يجمع بينها ، وأن رباطا سحريا يصنع من حباتها الفريدة عقدا من اللؤلؤ الثمين والنادر الذى يتلألأ على صدر الحياة الادبية . . فكل اقصوصة منها (لؤلؤة) جميلة بمفردها ، ولكنها جميعها تكون مع بعضها (عقدا) ثمينا لا يقدر بثمن .

فكيف نرى الحب والمرأة فى هذه الرواية وفى أقاصيصها ؟!
هذا ما سنحاول أن نعرضه فى الصفحات التالية .



تكون خيوط الحب ، بمختلف ألوانها ، النسيج الاكبر من ثوب هذه الرحلة . فنرى الحب ظاهرا وواضحا ومباشرا فى كثير من كلماتها احيانا ، أو نحس به ونشعر بوجوده تحت الحروف وداخل شرايين العبارات أحيانا اخرى ، وهو شىء ليس بجديد على أديبنا (فتحى الابيارى) الذى قلنا وكررنا أنه يعيش للحب ويكتب ويبدع بالحب وللحب . . ولكنه فى رحلته هذه يقدم لنا الوانا جديدة من الحب ، ويعرض علينا أشكالا وأهدافا ومعانى اخرى للحب .

١ - الحب الاكبر :

فى مقدمة روايته يقول (فتحى الابيارى) ملخصا الحب والحياة كلها : (ماأحلى أن يقوم الانسان برحلة حول الكون الذى يعيش فيه ، ليرى البشر والبلاد وجمال الطبيعة ، ويتنسم رائحة المجتمعات المتقدمة والمتأخرة ، ويستنشق عبير النساء . . فى بقاع الارض . . ليعود من رحلة التجوال وقد امتلأ قلبه بالحب الكبير ، لخالق الحب والجمال ، والأرض والسماء ، والبحر والجبال) . .

فهذا الحب الالهى هو سر حياتنا ، وهو مصدر سعادتنا ، وهو بدايتنا ونهايتنا بغير ذلك الحب السماوى الطاهر ، والحقيقى لا تبقى لنا حياة ، ولا تكون لحياتنا معنى ، ولا يصبح لوجودنا هدف . .

ونلمس طهارة وقوة هذا الحب الكبير ، ونرى لمسة الحياة يمنحها الله لمن يدركه بمحبته ويحيطه برعايته ويشمله بعنايته ، فى قول الكاتب :

(لقد عشت تجربة ميلاد انسان جديد ، كان فى صراع بين الهبوط فى ظلام العدم خارج دائرة اللعبة ، وبين التمسك بحافة دائرة ساقية الحياة . . لولا أن تعلقت بأشعة نورانية خفية ، فأحاطتنى من كل جانب) . .

وهذه الأشعة النورانية الخفية ، التى تحس ولا ترى ، لاشك أنها شعاعات العناية الالهية ، التى يؤمن بها ويشعر بوجودها معه كل من يؤمن بالله ويسلم اليه حياته كلها . .

وعند ما يتخلص الانسان النقى من السلاسل والقيود التى تربطه الى (ساقية الحياة المادية) والتى يدور فيها كالثور المغمض العينين ، فانه ينطلق محلقا وطائرا الى ذلك (العالم النورانى) بعيدا بعيدا عن دائرة اللعبة التى تحكم على جميع من فيها بالدوران المستمر والقاتل فى لعبة الجنون بما فيها من لذة الجنون . .

وما بين اللهاث المستمر الذى يصيب كل من يجرى حول نفسه بحدود الدائرة الطينية ، ومشاركا رغم انفه فى حياة الصخب والضجيج ولعبة ارانب وحيوانات الارض الترابية التى لا تكف عن الدوران بنا حول نفسها أو حول الشمس أو حتى حولنا ، وما بين التقاط الانفاس والحصول على قسط من الراحة ، ولو كانت راحة اجبارية يفرضها المرض أو السفر او الموت أو أية أسباب أخرى ـ يجد الانسان نفسه محتاجا الى الحب الالهى ، متشوقا الى الاحساس الداخلى الذى يملاء نفسه بالايمان والامان . .

وحتى وهو يوصى ابنه (حسن) وابنته (أمانى) ، لا ينسى أن يضع أمامها ضرورة وأهمية طاعتهما لله بالتمسك بوصاياه واتباع تعاليمه ، فيقول لابنه :

(انك ستتحمل المسئولية ، وكل انسان فى هذه الحياة كلفه الله برحلة . ولكل رحلة نهاية) ولأنه يخاطب ابنه الرجل ، فانه يبصره بالحياة كمسئولية حملنا الله اياها ، وسيحاسبنا فى النهاية على

استخدامها والاستفادة منها وعلى ما قدمناه فيها من حب لكل الناس .

(حاول أن تكون محبوبا . ولكى تكون كذلك ، لابد أن تحب الناس ، وتقدم لهم خدمات بلا مقابل ، وانتظر الجزاء من الله فقط .) .

ويقول له ايضا :

(وأهم وصية اتركها لك ، أن تصر على المبدأ الذى تعتقد أنه الحق والخير ، ولا تتنازل عنه ولو خسرت الدنيا . إن أقسى خسارة تصيبك ، هى أن تخسر نفسك وأن تحتقرها . فاجعل رأسك مرفوعة دائما ، بالاصرار على الحفاظ على المبدأ ولو كلفك الكثير . ولكن فى النهاية سيحنى الآخرون لك رؤوسهم لك ، احتراما لاصرارك على المبدأ ، وعلى الحب الذى وهبه الله لك . فالحب هو أغلى ما يهبه الله للآخرين . فاحرص عليه للنهاية) .

وهذه الوصية الهامة تتلخص فى جملتين (حب الله) و (حب الآخرين) ، والحب الاكبر هو حب الله ، والذى نلمسه فى عطاياه الكثيرة لنا ، أما حب الاخرين فهو أحد عطاياه الله لنا ، وهو (أغلى ما يهبه الله) لاى إنسان وهو ما يجب أن نحرص عليه حتى آخر العمر . . .

وتختلف وصيته لابنته (امانى)باختلاف الرجل عن المرأة من ناحية ، ولا اختلاف دور كل منهما ومسئولياته فى الحياة من ناحية اخرى . هو يعرف ان المرأة كثيرة الكلام ، وفى كثرة الكلام خطر عليها ، فيوصيها قائلا :

(حذارى حذارى من أخطر شىء ينسف اللعبة ، ويحول حياتك الى اعمق اعماق الجحيم . . . هذا الشىء هو (لسانك) وعدم الصبر) .

ثم يدخلها معه الى موقفه أمام رب الأرباب ، مترنما باسم الا له العظيم ، ويصحبها معه الى طوافه بالكعبة الشريفة ، فيقول لها :

(حتى تسعدى فى حياتك الجديدة وانت تبنين عشك الصغير ، يجب أن يملأ الايمان قلبك ، وأن يترنم لسانك باسم الله ، وبالصلاة على نبيه المصطفى ، وأن تتغذى روحك بتلاوة القرآن الكريم) . .

فالايمان بالله ، وحب رسوله ووصاياه ، والتمسك بتعاليمه وقراءة قرآنه الكريم باستمرار ، كل ذلك يجعل منها انسانة جديدة ، عروسا فاتنه ،وأمًا ناجحة ، وزوجة ليس لها مثال . . وكل ذلك يجعلها خليقة بحب الناس جميعا لها ، لأنها بايمانها ستحب الناس جميعا . .

٢ ـ حب الأم ...

الام هى نور الله على الارض ، ولمسة محبته للبشرية ،حبها جزء من حبه ، وحنانها بعض من رعايته ، ورحمتها قبس من رحمته ، وتحت اقدامها وضع جنته ، وبحبها واحترامها وطاعتها كانت وصيته ، حتى ان من خرج عن طاعتها طرده من دائرة محبته وحرمه من نعمة رعايته . . ويقدم لنا (فتحى الابيارى) صورة رائعة لأمه التى كانت تستحم ، وتسرب الغاز من السخان ، فترنحت ووقعت ، وكادت أن تلفظ انفاسها ، ولم تتمالك الا أن تنادى ابنها الذى كان فى القاهرة ، ولم يكن من الممكن أن يسمعها أبدا حتى ولو صرخت بكل قوتها ، لكن لأنها أمه التى تحبه ويحبها ، ولم تكد تهمس باسمه الحبيب إلى قلبها ، حتى كان هو بنفسه قد وصل ، وطرق الباب ، ودخل ليكتشف أن أمه كانت على وشك أن تختنق وتموت ، فينقذها ويسعفها حتى تتنفس وتعود لها الحياة . .

ولذلك (لم تكن الأم تتصور أن يحدث هذا لابنها الوحيد) ، ذلك الابن الذى لبى همستها باسمه ، وجاء من القاهرة الى الاسكندرية فى الوقت المناسب لينقذ حياتها ، هذا الابن جعلها تنسى آلام مرضها لتخدمه وتقدم له الدواء ، وتتأمله وهو (راقد امامها على الفراش يقاوم ألمه فى صمت ، وحوله بعض زملائه وأصدقائه) . ولم تملك الا ان تؤدى فريضة الصلاة ، فتصلى لله حتى يشفيه ، وقد اختلطت دموعها بتسابيحها ودعواتها . .

هذه الأم هى التى قال عنها لابنه (حسن) وهو يوصيه بأمه :

(واذا انتهت رحلتى ورحلة أمك فى هذه الحياه ، فلن تجد الحنان الحقيقى فى هذه الدنيا)

ثم يؤكد عليه فى وصيته له لكى لا يترك الدنيا تلهيه عن الاهتمام بها ورعايتها فيقول له :

(لكن ينبغى أن يترسب فى قرارة نفسك أن تكون عطوفا بأمك وأن تكون تحت قدميها التى تجرى فيها الجنة ، مثلما رأيتنى وأنا أعامل امى ، أى جدتك . . . وكان من المفروض أن أرعاها اكثر من ذلك ، لكن صراعى مع أمواج الدنيا العاتية جعلنى أركز اهتماماتى وقوتى لمواجهة التحديات) . .

٣ ـ الحب الزوجى :

بعد حب الله (الحب الاكبر) ، وحب الأم (الحب الأطهر) ، يأتى ذلك الحب الجميل الذى يربط بخيوطه الذهبية المقدسة بين كل زوجين ، تجمعهما ارادة الله فى حياة مشتركة .

انها الزوجة التى أحبته وعاشت معه عشرين عاما ، بحلوها ومرها ، وجمعتها به ذكريات كثيرة جميلة ، ولحظات كثيرة مليئة بالدموع والآلام التى تسببها مشاعر المرأة الغيورة دائما على زوجها . . .

ورغم حبها الكبير له ، ولهفتها الصادقة والمستمرة عليه ، وشوقها المشتعل دائما اليه ، الا انها لم تشعر بهذا الحب ولم تحس بهذه اللهفة ، ولم تكتشف هذا الشوق الا عند غيابه عنها ، وانتظارها لعودته . . .

(لم تدر أن قلبها ملهوف عليه كل هذه اللهفة ، فقد شغلتها ماديات الحياة والايام المملة الرتيبة التى تكرر نفسها يوما بعد يوم ، عن الاحساس برعشة الحب التى تعشش فى قلبها تجاهه . . فمشاكل الحياة اليومية التافهة ، كادت أن تسحق تلك الاحاسيس النائمة تحت جلدها) . .

لقد قتلت مشاكل ومشاغل الحياة (المادية) شعورها بحبها لزوجها ، حتى انها بكل حساسيتها ورقة مشاعرها نحوه ، لم تكشف ان كثرة نومه كان بسبب مرضه ، ولانه كان يتألم ولا يجد الراحة الا فى النوم ، ولذلك كانت تؤنبه على كثرة نومه وتصرخ فيه غاضبة :
(لماذا تصاب بالسكتة القلبية عندما تدخل من باب الشقة ؟ لا كلام ولا حديث ، ولا يهمك ماذا جرى لى من مشاكل مع الاولاد . . وأنا الجارية التى وهبها الله لك ولاولادك) . .

وعندما اكتشفت حقيقة سبب نومه ، وعرفت مدى ظلمها له ، وأحسست كم كانت قاسية عليه ، قررت أن تعوضه عن كل ذلك :

(وأقسمت لقلبها بأنها ستغمر زوجها بامواج الحب الحبيسة تحت جلدها ، وأنها ستسحق مشاكل الحياة التافهة) . .
هذه هى الصورة البسيطة والصادقة للزوجة المصرية ، بل قد لا نتجاوز الحقيقة كثيرا اذا قلنا بانها الصورة الزوجة فى اى مكان على الارض ، وفى اى زمان منذ خلق الله آدم وحواء ، انها الزوجة التى تحب زوجها من كل قلبها ، ولكنها أحيانا لا تحس بهذا الحب ولا تشعر بوجوده لانشغال الزوج فى صراعه مع الحياة وقتاله اليومى ليوفر لها متطلبات حياتها ، ولا تفيق لحقيقة ما يحمله قلبها من حب وشوق لزوجها الا عندما يسقط مريضا ، او يغيب عنها مسافرا ، او يرحل عنها وعن الحياة ، وعندئذ ترى كم كانت تحبه وكم كان يحبها ويعمل ويتعب لأجلها . . فتندم على شكوكها ، وتتحسر على سوء ظنها به ، وعدم فهمها له ، وعدم ادراكها لكفاحه وتعبه من أجل توفير الحياة الافضل لها ولاولادها . . .

٤ ـ الحب ... الحب ...

لم أستطع التوصل الى عنوان أفضل من هذا العنوان (الحب . . الحب . .) ، لكى أضع تحته تجارب الحب وذكرياته — أقصد الحب المثير الذى يقابله الانسان منذ صباه وشبابه ، فيعيشه ويستمتع به ويتعلم منه ، ثم يظل يسترجع ذكرياته ما بقى له من عمر —

وكم أعجبنى ذلك العنوان الجامع المانع الذى عنون به (فتحى الابيارى) ذلك الفصل — أو تلك الاقصوصة من أقاصيص روايته ، وذكر فيه اتصال حبيبة قديمة به ، فـ (جذوة حب) تعنى نار حب قديم كان مشتعلا وكان ملتهبا ، ثم خمدت نيرانه وخبت

انه هنا فى اقصوصته (جذوة حب) ، يقدم لنا صورة لما حدث لاحدى الحبيبات القديمات التى باعدت (أتربة الحياة) بينها وبين البطل ، وذلك عندما قرأت فى الجريدة خبر المرض الخطير الذى أصاب حبيبها القديم ، فلم تكد تقرأ حتى (تساقطت ذكرياتها مع دموعها الحبيسة فى عينيها) وأخذت تسترجع شريط ذكرياتها الجميلة والكثيرة معه ، عندما تعرفت به ، وعاشت حياتها كلها معه :

(منذ سنوات ، عندما كانت لا تتنفس الا بأنفاسه ، ولا ترقص دقات قلبها الا مع دقات قلبه ، ولا ترتاح عيناها الا مع ترنيمات قلبه التى كان يكتبها فى حكاياته ، معبرة عن أحاسيسها ومشاعرها) . . واذ تتذكر ماضيها السعيد معه ، وتصل مع ذكرياتها الى لحظة فراقها له ، تلتهب نيران الحب فى تلك الجذوة الصغيرة التى كانت ما تزال قابعة فى سويداء قلبها ، بعد أن اعتقدت أن كل شىء بينهما قد أصبح رمادا وترابا . . وتعود النبضات الى قلبها ، ويعود الصراع الهائل الذى كثيرا ما اشتعلت نيرانه بين قلبها وعقلها ، وينتصر قلبها فتتصل به تليفونيا لتطمئن عليه . . وتسمع صوته (كأنه آت من كوكب آخر . .) ، وتحادثه ، ويشكرها ، وقبل أن يتم بينهما الحديث الذى يكاد القارىء أن يتوقعه ويسمعه ، ينقطع الخط التليفونى ، وكأن (التليفون) هنا هو رمز مبسط للحياة العصرية الحديثة التى تعجز عن توصيل المشاعر بين الناس (وانقطع الخط) وكأنه بلونه الاسود يشير الى الأحزان التى يعانى منها الحب والأحباء فى العالم المادى الذى يعيش فيه الناس اليوم وبانقطاع الخط ، ينتهى الحديث دون أن يقول الحبيبان كل ما يريدانه من كلام ، ونرى البطلة وقد عادت الى وحدتها وصمتها (وعاشت دقائق أيامها ، بلا دقات ، ولا أيام)

وفى أقصوصة أخرى بعنوان (عرائس فى الظلام) نلتقى ، أو على الأصح ، نسمع أصوات أشباح أو أطياف بيضاء بلا ملامح وبلا

معالم ، وتدور هذه الحوارات المختلفة التى تدور بين البطل وبين هذه الاشباح من جهة ، وبين الاشباح بعضها وبعض من جهة اخرى ، وفى هذه الحوارات يستعيد البطل ذكرياته الغرامية القديمة . فهذه فتاة كان يعرفها ويلعب معها اللعبة المعروفة ب (عريس وعروسة) عندما كان فى الاسكندرية أيام الحرب العالمية وتلك فتاة أخرى كانت لحظاتها القليلة التى تعيشها معه عمرها كله الذى كتب لها ان تعيشه فى عالم الاجساد الطينية والفتاة الثالثة تعارك وتقاتل الفتاة الثانية حتى تجبرها على تركه لها ، وتتهمه بأنه هو الذى اقتحم عذرية روحها وافكارها وسلبها اياها بما كان يقوله ويعلمه لها ، حتى انتحرت ورحلت الى عالم النور لكى تسعد بزفاف روحها الى روحه .. وتتدخل فتاة رابعة لتطرد الثالثة ، وتحكى له كيف حرمتها الايام منه ، ولكنها تزوجت برجل آخر يحمل نفس الاسم حتى لا تحطم قلبها فيه . . ثم يلتقى فيه . ثم يلتقى بطيف تلك التى سألت عنه بالتليفون لتطمئن عليه ، وتعترف له بأنها كانت مجنونة بتعذيب الرجال ، وكانت تعيش على نزيف قلوبهم ، ولكنها عندما التقت به حطم غرورها ، وفشلت فى التهام قلبه ، بل وتعلمت منه سر السباحه فى بحور النور . . .

وظل بطلنا يرى أطيافا أخرى كثيرة ، بعضها عرفه ، وبعضها لم يستطع التعرف عليه ، وحاولت بعض هذه الاطياف أن تجذبه معها الى عالمها ، ولكنه عندما سمع آذان الفجر ، استيقظ من غفوته ، وشعر بآلام كبده ، وتمتم مستغيثا (يارب) . . . هذه هى اذن بعض صور الحب والوانه المختلفة التى عرضها لنا (فتحى الابيارى) فى أقاصيص روايته (رحلة خارج اللعبة) . فما هى خلاصة ما يقوله لنا عن رأيه فى الحب وايمانه بضرورته ؟!

انه يؤكد على أن الهدف من خلق الانسان هو أن يحب الآخرين : (لماذا خلق الله الانسان ؟ لكى يحب الآخرين ، لا لكى يقتل ويكره ويبغض الآخرين ، وما النتيجة والهدف من هذا الكره ؟ والنهاية معروفة ، تراب . . تراب . . تراب .)

ويصف الحب بأنه اجمل شىء يعيش الى الابد ، وأنه هو الزورق الذى نعبر به الحياة ، وهو أغلى ما وهبه الله للانسان فى هذا العالم :

(أجمل شىء حلو يعيش الى الابد ، أن تحادث الناس بكلمة حلوة ، عندما تحب الناس ، ويحبونك) .

(وفى النهاية سيحنى الآخرون رءوسهم لك ، احتراما لاصرارك على المبدأ ، وعلى الحب الذى وهبه الله لك ، فالحب هو أغلى ما يهبه الله للآخرين ، فاحرص عليه حتى النهاية)

(وبذرت فى قلبكِ بذرة حُب) أدعو الله أن تنمو كلما كبرت لتكون زورقا تعبر به تيار الحياة) ؟!

وقد يقول قائل بأن هذه النماذج من الحب معروفة وعادية ويعيشها كل الناس بطبيعة تكوينهم ، فمن الذى لا يحس بحب أمه ، ومن الذى لم يعش محبا لزوجته واولاده ، ومن من الناس لم يمر ببعض التجارب العاطفية ؟ نجيبه قائلين : لكن من هو الذى عاش هذه الالوان الجميلة بقلبه وبكل مشاعره ؟ ومن الذى أعطى روحه وحياته للحب على مختلف انواعه ؟! لن تجد الكثيرين . فالحب الحقيقى نادر الوجود ، ولأنه نادر وقليل جدا ، فانه غالٍ وثمين جدا جدا . . . ثم ما رأى القائل العزيز فى هذا الحب المجرد الذى يقدمه لنا المؤلف من خلال أقصوصته الانسانية (بوسى) . إن (بوسى) هى القطة التى تعيش مع البطل ، وتحتل جزءا من (فراغ البيت ، وفراغ نفوسنا ايضا) . وهى التى تلاعبه وتدفن نفسها فى صدره ، وتحاول أن تقبل ذقنه ، وأن تعض أصابعه وتداعبه لتزيل كآبة الملل من نفسه . وعندما تمرض ، يذهب بها للمستشفى فيعرف أن علاجها يكلفه (عشرون جنيها) وأن قتلها لن يكلفه اكثر من (جنيهين اثنين) ، فماذا فعل البطل المؤمن بالحب للحب ، بعيدا عن المصالح والمكاسب والاهداف المحدودة

التى قد تدفع شخصا الى حب قد لا يكون مؤمنا به ؟ لقد دفع ثمن علاجها الباهظ ، ولم يبخل عليها بعشرين جنيها ، ولم ينس لها كيف كانت تخفف عنه وطأة اللحظات الكئيبة بمداعباتها وانكماشها بوداعة فوق صدره ، أو برقصاتها المجنونة لكى تنتزع منه ابتسامة تخفف بها لهيب الضيق فى نفسه .

(وعندئذ ، مددت يدى الى حافظتى ، وأخرجت عشرين جنيها ، ووضعتها على المكتب واذا بقبلة حانية من ابنتى الصغيرة تطبعها على خدى وهى تقول :
ـ ربنا يخليك يابابا . . .
وابتسمت . ووجدت نظرات ابنى فرحة . وأحسست أننى قد أعدت الى نفسيهما الثقة فى أحاسيس الانسان التى لم تنعدم خلال دوامة حياتنا المادية . وشعرت بقمة السعادة تسرى فى أنحاء نفسى هذه هى اللحظة واللقطة الانسانية وما تحملة من مشاعر رقيقة معبرة عن حقيقة الانسان فى كل عصر وزمان ، وهى لقطة خيرة ومعبرة ، ملاءت قلوب الاولاد وقلوبنا ايضا بالفرحة والثقة فى المستقبل الافضل للانسانية المتمسكة بانسانيتها الحانية ومشاعرها الرقيقة . .
ورغم هذه اللفته الانسانية الرائعة والعميقة والمعبرة التى صحبنا معه فى مشاهدتها والتأثر بها بطل الرواية ، فانه يدق لنا جرس تنبيه حتى لا نستسلم لاحلامنا الجميلة ، ونعتقد بأن الحياة قد امتلأت بالخير والحب والجمال ، ويرفع يده أمامنا محذرا لأن الحب والصداقة اليوم قد أصبحت شئيا من الاثار المدفونة ومن السلوك الانسانى النادر أو المنقرض :

(وجاءنى صوت فى التليفون يسأل عنى ، والسؤال عن الاخرين فى هذا الزمان أعجوبة ، أو اعتبره شئيا من الآثار المدفونة للسلوك الانسانى : . . .

إن خلاصة ما يقوله هنا هو أن وردة الحب ، ليست أوراقا رقيقة

وملونة وجميلة ، وليست عبيرا وشذى مثيرا ورائعا فقط ، لكنها ايضا اشواكا حادة ومؤلمة ، وعلى من يريد الاستمتاع بالورود أن يعترف بوجود الاشواك وأن يتحمل وخزها الموجع . . .



(ب) المـــرأة :

وبعد هذا الاستعراض المختصر للحب الذى قدمه لنا (فتحى الابيارى) من خلال اقاصيص روايته (رحلة خارج اللعبة) . نأتى الى رمز الحب ، ووحى ترانيمه ، وهدف أحلامه . . . نأتى الى (المرأة) لنرى كيف قدمها لنا (فتحى الابيارى) من خلال روايته هذه ؟

نلتقى بـ (الأم) التى تنسى نفسها ولا تحس بآلامها ولا بمرضها عندما ترى ابنها مريضا ، وهو شىء غير جديد عليها ولا بمستغرب منها وهى (الأم) التى (ربتنى وعاشت من اجلى بعد ان انفصلت عن ابى وأنا طفل لم اتجاوز العام ، ولم تتزوج حتى هذه اللحظة) . . وهى (الأم) التى (تتألم بألمى ، وتحس بمرضى) . . . وهى (الأم) التى (عاد اليها التنفس بطيئا . . بطيئا . . واستعادت الحياة لأنها رأت ابنها) . . . وهذه الأمومة هبة الله التى يمنحها لأية امرأة بلا مقابل ، وتعجز كل اموال العالم فى شرائها لمن لا يريد الله أن يجعلها أما . .

وفى أقصوصة (سوبر ماما ، والمليونيرة) نرى تلك المفارقة المذهلة التى تلد فيها امرأةفقيرة ثمانية توائم ، بينما تعجز المليونيرة الحسناء فى شراء القدرة على الانجاب رغم ثرائها الفاحش وأموالها الطائلة . ولا تملك عندئذ الا أن تنفرد بنفسها ، وحيدة فى فراشها ، تناجى الله وتدعوه لكى يحقق لها أمنية أن تصبح امرأة عادية ، تحس

بآلام الحمل ، وبآلام المخاض ، كأى أرنبة عادية . . (وتتمنى أن تحس بحركة الجنين داخل أحشائها) . . . وكم كان عذابها وألمها

وهى تخرج من حجرة الطبيب وقد تجسدت الكآبة على وجهها ، وبدت كعجوز هرمة هدتها السنين ، ومضت كلمات الطبيب تتردد فى سمعها ، كما لو كانت حكم عليها بالاعدام : (آسف . . لن نفعل لك شيئا . . انها مشيئة الله . . أن تكونى عاقرا) . . . ثم نلتقى بـ (الزوجة) ، وهى الدرجة الاولى من درجات الأمومة ، فالزوجة هى الام الثانية لزوجها ، تحبه وتخاف عليه ، وتتمنى أن تراه أعظم وأفضل رجال العالم كله ، وهذه كلها بعض المشاعر التى تحملها له أمه . والزوجة مشروع أم ، أو هى امرأة فى سبيلها لأن تصبح أما عندما تنجب أبناءها . . لكن هذه (المرأة) لا تحب زوجها حبا خالصا وربانيا كأمه ، بل يختلط حبها لزوجها بحبها لنفسها ، وغيرتها عليه ، وحرصها على بقائه خالصا لها ، وقد لا تغفر له هفوة صغيرة أو تصرفا بسيطا من تصرفاته التى لا تعجبها ، وقد تنسى له كل ما فعله من أجلها وكل ما قدمه لها ، اذا عمل شيئا تحس بأنه قد أساء اليها ، حتى لو كانت مخطئة فى ظنها . . .

هذه (الزوجة) نلتقى بها فى نموذجين ، النموذج الأول هو (زوجة) البطل ، تلك الزوجة التى تغرقه بأمواج حبها ، وتكاد أن تذوب حزنا عليه عندما رأته مريضا ، وتلوم نفسها بشدة لأنها لم تحس بمرضه وظلمته وتعاركت معه ، كأية زوجة أخرى :

وهى تؤنبه على كثرة نومه عندما يأتى من العمل ، وكانت تصرخ فيه :

ـ لماذا تصاب بالسكتة القلبية عندما تدخل من باب الشقة ؟ لا كلام ولا حديث ، ولا يهمك ماذا جرى لى من مشاكل مع الأولاد . . . وأنا الجارية التى وهبها الله لك ولأولادك . . منذ الصباح وأنا أعمل فى

البيت .. وأعد الطعام .. وانسق البيت .. واغسل الاطباق .. وانظف المطبخ ..

ولم تدر أنه كان يتألم فى صمت ، وأنه كان يجد الراحة فى النوم ، دون أن يدرى هو الآخر أن كبده قد أصيب بوباء ... وأنه يصارع هو الآخر) ...

وعندما يمرض ، ويخبرها الطبيب المعالج بحقيقة ما أصيب به كبده ، تحس بالخوف عليه ، وتكتشف كم هى تحبه وتتلهف عليه (لم تدر أن قلبها ملهوف عليه كل هذه اللهفة ، فقد شغلتها ماديات الحياة ، والأيام الرتيبة والمملة التى تكرر نفسها يوما بعد يوم ، عن الاحساس برعشة الحب التى تعشش فى قلبها نحوه ونحو ابنها وابنتها) ... وهنا تفيق من سكونها ، وتثور أمواج حبها له ، وتحس بشوقها اليه :

(وأقسمت لقلبها انها ستغمر زوجها بأمواج الحب الحبيسة تحت جلدها) .. وعندما يعود من الاسكندرية الى منزله واليها ، نلمح ذلك المنظر الذى يلمس أوتار المشاعر ، ويهز نبضات القلوب ، منظر الزوجة المحبة والمخلصة التى تحيط زوجها بالرعاية والحب :

(ولم يبق فى الشارع الخالى سوى الزوجة التى أحاطت بزوجها وقد استند على ابنه الصغير وابنته الصغيرة ، سائرين ببطء نحو البيت) .. والنموذج الثانى هو (ابنته) التى كتب لها يوصيها ويرشدها ويعلمها كيف تكون زوجة محبة ومخلصة وناجحة فى حياتها مع زوجها ... يوصيها بالايمان بالله والعمل بوصاياه والتمسك بالدين ، ويوصيها بأن تحب زوجها وأهله وتحب ما يحبه ، وأن تتعامل مع الناس من جانبهم الخير وتغض النظر عن مساوئهم وأخطائهم ، لأن الناس لا يحبون من يحاسبهم على هفواتهم ، ولأن هناك (الله) القوى الجبار الذى سيحاسبهم على كل اعمالهم ، ولابد أن تفعل ذلك مع زوجها طبعا ، قبل أى انسان آخر ، ويركز على توضيح دورها الأساسى لها فى الحياة

كزوجة وأم ، فيقول لها :
(اذا كنت تريدين لحياتك السعادة والهدوء ، فلا تتعدى حدود مملكتك الكبيرة التى وهبها الله لك . ولتعلمى أن الرجال قوامون على النساء ، إن الرجل هو راعى البيت ، وهو المسئول عنك وعن بيتك وعن أولادك . . وأنت ايضا مسئولة عن زوجك وعن البيت والأولاد وكل واحد فيكما له وظيفته وحدوده) . .

ويؤكد عليها ضرورة فهم زوجها وأن تبحث فى نفسها أولا عن اسباب تغير طباعه وتحوله الى انسان منحرف المزاج حاد الطباع متوتر الاعصاب :
(اسمعك وأنت تقولين يا صغيرتى ، وماذا أفعل فى زوجى اذا كان قد انحرف وأصبح حاد الاعصاب ولا تطاق معاشرته ؟

اقول لك يا صغيرتى ، بعد أن تمسكت بتعاليم الدين ، وأرضيت ربك فى معاملة زوجك ، اقول : اسألى نفسك أولا ، ماذا فعلت لكى تتغير طباعه هكذا ؟ هل انشغلت عنه بالأولاد ؟ هل أهملت نفسك ؟ فالرجل يا صغيرتى يحب أن يرى زوجته دائما جميلة ونظيفة ، يسمع منها الكلام الطيب بعد رحلته اليومية الشاقة فى صراع الحياة . . لا ترهقيه بالمشاكل التافهة والأشياء الصغيرة التى تشد أعصابه بلا طائل . . حاولى ان تكون حياتك هادئة بقدر الامكان ، فسوف تسعدين بذلك وتسعدين من حولك ، زوجك واولادك) . . .

وما أبسطها وأسهلها من مبادىء تساعد الزوجة ـ أية زوجة ـ على تحقيق الحياة الهادئة والسعيدة لنفسها ولزوجها ولابنائها . . .

ونلتقى بصورة المرأة التى يصورها ذلك الحادث الذى نشرته الصحف عن الشاب الذى هدد امرأة بمسدسه وأجبرها بالقوة على مصاحبته الى منزله حيث اغتصبها ، دون أن تملك ما تدافع به عن حياتها ، ودون ان يتمكن أحد من انقاذها من بين براثن وحشيته رغم صراخها المستمر واستغاثتها بشهامتهم . وحتى عندما قابلهما

(القانون) ممثلا فى أمين الشرطة ، خدعه الوحش الآدمى ، وأخذ المرأة امام عينى رجل الشرطة (فلم تصرخ خوفا على حياتها . . وأمام المسدس خلعت ملابسها قطعة قطعة خوفا على حياتها . ثم اغتصبها ، خوفا على حياتها) ؟

فالمرأة هنا مخلوق ضعيف لا يملك من أمره شيئا ، ويمكن لأى رجل أن يعتدى عليها وأن يغتصبها ، وأن يفعل بها ما يريد ، أمام المجتمع الذى مثله المؤلف بهذا الزحام من النمل الذى وقف يتفرج على المشهد المثير ، وكأنه لعبة من العاب (سيرك الشارع) ، وايضا أمام القانون الذى رمز اليه بأمين الشرطة ، لكن لأن القانون لا قلب له ولا عقل له أيضا ، فان أمين الشرطة لا يتدخل بأكثر من السؤال عما يحدث ، ثم ينخدع بأكاذيب الوحش الآثم ، وينصرف تاركا المرأة لمصيرها المؤلم والمحزن ، ومقتنعا بأنه قد فعل ما علمه القانون بأن يفعله فى مثل هذه الحالات وأمام هذه المواقف ، ويكون ضميره راضيا تماما ومستريحا تماما ، وكيف لا يرضى ضميره ولا يستريح لتصرف وقد سأل وعرف مزلجانى ان المرأة (مختلة العقل) ، وهو مؤمن بأن كل النساء (ناقصات العقل والدين) . . وحتى زوجها الذى عاد من السفر ، والسفر هنا رمز لغياب القوة التى يفترض بينها تحرس المرأة وتحميها ، حتى بعد عودة زوجها الذى تحتمى به ، وتستظل بحبه ، وتعيش فى قلعته ، لم يستطع ان يفعل شيئا للعربيد الذى مزق زوجته اكثر من اللجوء الى النيابة التى قبضت على المجرم الأثيم ووجهت اليه التهمة ، فانهار واعترف بجريمته ونال جزاء فعلته الشريرة . . . لكن الزوج عاش بعذابه وهو يرى زوجته المسكينة والمعتدى عليها أمامه كل يوم ، وكأنها تذكره بضعفه وعدم قدرته على حمايتها من شر الأشرار وعبث الشياطين . . .

هذه هى المرأة المغلوبة على أمرها ، والتى لا تملك الا الاستسلام لضعفها ، وتسليم حياتها للقوة الغاشمة التى يمثلها هنا ذلك المسدس الذى يهددها به الرجل الطاغية ، ولا يستطيع العرف الاجتماعى ان يحميها ، ويعجز القانون عن الدفاع عنها ، ولا يحرسها من الرجل (المجرم) الا الرجل (المحب) أو (الزوج) . . .

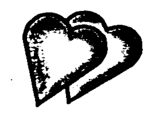
ورغم كل نماذج (المرأة) كأم وكزوجة وكحبيبة وكابنة ، التى قدمها لنا (فتحى الابيارى) فى روايته هذه ، الا انه يعترف ـ مع كل الرجال ـ بأنه لا يستطيع أن يقول بأنه قد عرف طبيعة المرأة على حقيقتها ، أو فهم مشاعرها الخفية ، أو أدرك أسرارها الخافية . ففى ذلك الحوار القصير بين بطل الرواية وبين زائرته التى كفرت بالزواج وقررت أن تهب حياتها للقلم كراهبة أدب ، تقول له :

ــ انك لا تعرف طبيعة المرأة . . .

فيرد عليها مؤمنا على قولها ، ومعترفا بالحقيقة :

ــ من الذى يقول بأنه يعرفها ؟

وهو سؤال إجابته واضحة فى كلماته ، ويمكن أن نضع بدلا منه الرد المعروف عليه وهو (ولا أحد يمكن أن يعرفها) . . .



(ج) الحيــاة

بدأنا هذه الاطلالة النقدية ، على هذه الاقاصيص التى تكونت منها رواية (رحلة خارج اللعبة) بدأناها ـ بالحب الذى هو بداية الوجود ، ثم التقينا بالمرأة التى هى سر استمرار العالم وسبب بقاء البشرية الى ان يشاء الله . وبعد الحب والمرأة اللذان هما معنى الحياة ، ندخل الى طبيعة الحياة وعمقها ، فنتأمل معناها ، وندرس اهدافها ، ونسبح فى بحارها ونغوص فى اعماقها ، ونحاول ان نصحب المؤلف فى رحلته المتعبة والطويلة لاكتشاف اسرارها ، ووفع اللثام عن وجهها . . .

ان عنوان هذه الرواية : (رحلة خارج اللعبة) يستوقفنا امام كلماته الثلاث الصغيرة كثيرا . ولكى نصل الى خلاصة المعنى الذى توصلنا اليه كلمات هذا العنوان البسيط والمعقد فى نفس الوقت ، يجب ان نبدأ تأمل هذه الكلمات وتحليل ما يختفى وراء كل منها من معانى بآخرها وهى كلمة (اللعبة) ، ثم نثنى بكلمة (خارج) ، وننتهى بكلمة (رحلة) . . . ان (اللعبة) هنا تعنى الحياة ، وقد كرر (فتحى الابيارى) هذه الكلمة بهذا المعنى كثيرا حتى تؤكده ويظهر اعتقاده الراسخ به ، ففى الاقصوصة الاولى (على خط الدائرة) يقول : (وتجد نفسك فجأة ، وقد هويت الى قاع السكون ، وتجد نفسك خارج (اللعبة) اليومية التى تلعبها انت وانا ، وهو وهى ، لعبة الدنيا) . . (وعندئذ فقط ، يشعر الانسان وهو راقد خارج اللعبة ، كأنه مشاهد (للعبة) أخرى لا تمت اليه بصلة . . . ويتحول الآخرون

الدائرون فى رحى (اللعبة الى نماذج من لعب الكرتون) .

(لقد عشت تجربة ميلاد انسان جديد ، كان فى صراع بين الهبوط فى ظلام العدم خارج دائرة (اللعبة) الدنيئة وبين التمسك بحافة دائرة ساقية الحياة) .

ويقول أيضا ، مؤكدا على نفس المعنى الذى يريده بكلمة (اللعبة) :

(ووجدت نفسى على خط الدائرة .. دائرة اللعبة . .) . .
(رأيت (اللعبة) من الخارج طوال رحلة التسعين يوما) . .
(ثم مشاهدة ما يحدث داخل (اللعبة) وأنا فى رحلة حولها . . . خارج اللعبة) .

وعلى امتداد سطور الرواية يضغط (فتحى الابيارى) مؤكدا على أن حياتنا هذه ليست اكثر من (لعبة) مليئة باللذة والجنون ، تنتهى فى آخرها بخروج الانسان منها محمولا أو مهشما أو متناثرا . . . و (اللعبة) او (الحياة) فى رأيه ساقية تدور بنا وندور بها ، ونحن نصارع دواماتها كل لحظة ، ونظل نلف وندور فى هذه اللعبة) حتى نجد أنفسنا فجأة وقد أصبحنا خارج دائرتها بـ (الموت) أو راقدين بلا حراك وبلا حول ولا قوة على خط دائـراتها عنـد اصابتنـا بـ (المرض) . . . فالمرض يضعنا على (خط دائرة اللعبة) ، والموت يخرجنا منها الى الابد . . . ونحن لا نرى الحياة من حولنا بعيوننا فقط ، لكننا فى الحقيقة نراها بمشاعرنا ، ونلونها بما يترسب فى اعماقنا من الوان العواطف والاحاسيس المختلفة . فالبطل مصاب بالتهاب الكبد الوبائى الذى يعرف بـ (الصفراء) ، وهذا المرض يجعل المصاب به يرى أى شىء وقد اصطبغ باللون الاصفر ، ولذلك نسمع البطل يقول :

(ولمحت المؤسسة التى أصارع فيها منذ عشرين عاما فى ساقية لا نهاية لها مع العديد من المتصارعين اللاهثين فوق أحرف على

الورق ، كانت باهتة اللون فى عينى وقد اكتست بلون (اصفر) مثل صفرة الموتى ، وكأنها شبح مارد لا يحيا الا بدماء المئات مثلى المخدوعين بشهوة الصراع والمجد) . . .
ان البطل قبل مرضه بـ (الصفراء) كان سعيدا بصراعه اللاهث مع الآخرين وضدهم فى داخل هذه المؤسسة الكبيرة ، والتى لابد انه كان يحبها ويعتقد بأنها سر حياته وطريق شهرته وغاية مجده ، لكنه عندما اصيب بالمرض ، اكتشف الحقيقة المريرة وهى ان كل ما يصارع من اجله مجردعبث ولهاث لا معنى له ، وان هذه اللعبة التى يشارك فيها داخل المؤسسة الكبيرة هى لعبة الموت ، وان هذه المؤسسة الضخمة - وهى رمز آخر مصغر للحياة - التيانت تعطيه الشعور بالقوة والامان ، وكان يحس بأنها سبب حياته ، ليست اكثر من وحش سفاح يعيش على امتصاص دمائه التى هى اغلى ما يملك ، وامتصاص دماء كل العاملين فى هذه المؤسسة .

وهكذا يوضح لنا البطل أن معرفتنا بالأشياء ، وادراكنا لحقيقة العلاقات بيننا وبين الأخرين من المشتركين معنا فى لعبة الحياة ، تنبع من داخلنا ، وان ما نراه جميلا ورائعا ونحن نستمتع به ونستفيد منه ، يظهر لنا مرعبا ومخيفا عندما نبتعد عنه ونتأمله من بعيد بعيدا عن عواطفنا الطيبة ومشاعرنا اللاهية بهواه ؟

وتتكرر هذه الصورة المعبرة ، التى توحى الينا بهذه المعانى المؤثرة ، فى اكثر من موقف ، فعندما تحركت به السيارة وعبرت بركابها كوبرى قصر النيل ، بدا له النيل العظيم (مصفر اللون) ، بينما كان قبل مرضه يقف على شاطئه متأملا ومتعجبا من اصراره على اكمال رحلته من منابعه الى مصبه ، لكنه عندما أُصابه المرض رأى النيل مجرد ترعة صغيرة راكدة ، صفراء اللون ، رغم ما فيها من حياة . . .
وبالاضافة الى (الصفراوية) التى تنسكب من آلام المرض الذى أصاب كبده ، لتلون الأشياء من حوله ، فان الرمادية هى الأخرى تصبغ

الكثير من الاشياء التى يراها ، بل وتصبغ مشاعره بالتشاؤم ، والاحساس بتفاهة الحياة وعدم جدواها (الجو مكفهر ، والرياح تعصف هى الاخرى ، وتكنس فى طريقها بعض المارة بالطريق الطويل الخالى ، وكأنها تكنس خواطر تلك الزوجة الرمادية) .

ان الحياة التى يقدمها لنا (فتحى الابيارى) فى اقاصيص هذه الرواية ، هى رحلة يكلف بها الله كل مخلوق على الارض ، ولكل رحلة منها نهاية محددة بزمان ومكان محددين ، وهذه النهاية معروفة للجميع وتتلخص فى كلمة واحدة هى (التراب) ، ونحن لا نعيش الا اذا وجدنا فى حياتنا شيئا نحبه ، وبغير هذا الحب تصبح حياتنا عدما ويصير وجودنا خواء . . . (وكل انسان فى هذه الحياة كلفه الله برحلة ، ولكل رحلة نهاية) . . (وما النتيجة وما الهدف من هذا الكره وهذه البغضاء ؟ والنهاية معروفة ، تراب . . . تراب . . تراب) . .

(وعاد اليها التنفس بطيئا ، بطيئا . . واستعادت الحياة لانها رأت ابنها) . . . والحياة شاقة ومليئة بالصراع الدامى ، ويصعب ان نجد فيها الرحمة :

(لأنك لن تجد الرحمة فى هذه الحياة . . لن تجد البشر ملائكة كما تتخيل) . . .

(لن تجد الحنان الحقيقى فى هذه الدنيا ، فالناس معظمهم شيمتهم الغدر ، ومصلحتهم هى أول كل شىء أمام اعينهم) . .

ونحن نتمسك بالحياة ، ونقدم كل ما نملك ، لكى نرسم ابتسامة فرح على وجه انسان نحبه :

(وكانت فرحتها وهى تهرع الى السيارة عند خروجها من المدرسة تجعلنى اتمسك بالحياة من اجل ان تظل ابتسامتها الحلوة مرتسمة على وجهها) . . . والحياة لعبة تدور المخلوقات داخلها وتتصادم وتتطاحن وتدوس بعضها البعض من اجل قبضة هواء او هراء :

(ويدوس الواحد منهم على اخيه .. ليرتفع مسافة انملة فوق التراب) ... ويقدم صورة ساخرة لاهتمام المسئولين عن الحياة على هذه الارض بعلاج الاجساد الطينية ، واهمالها علاج العقول المضيئة والأرواح الشفافة التى تحرق نفسها لكى تشعل للآخرين شموع الحب والمعرفة والتقدم : (تصدرت الصفحة صورة كبيرة .. كبيرة .. لراقصة معروفة سقطت مريضة لاجهادها المستمر فى عملها المقدس .. وكافأتها الدولة ، وطيرتها الى المانيا للعلاج ، بعد ان دهستها مئات الاجساد ، ولكى تعود جميلة كما كانت لتشترك فى لعبة الدوران ...

وأنا ـ الاديب والمفكر ـ رقصت بتلافيف مخى فوق الكلمات بقلمى ، وعندما تعثرت وسقطت ورقدت على ظهرى خارج اللعبة ، لم استطع أن أصرخ من الألم ، لأقول (آه ياكبدى .. ؟) .

والناس لا يرون من الحياة الا ظاهرها ، ولا يعرفون عن الانسان الا ما يقرأونه له أو ما يسمعونه عنه أو ما يرونه منه ، فهم يعرفون أن الاديب أو الفنان يكسب كثيرا ويظهر على شاشة التليفزيون أو يتكلم فى الاذاعة ، واسمه يتردد فى كل وسائل الاعلام ، ولكنهم لا يعرفون انه يعمل ليل نهار ، ويحرم نفسه من أشياء كثيرة يستمتعون هم بها ، لكى يحقق اهدافه الصغيرة التى يحسدونه عليها :

(... ان الجميع يحسدونك ..

ـ يحسدوننى ؟ لماذا ؟ وماذا فعلت ؟

ـ انها الحياة يا صديقى .. انك تكتب فى كل المجلات ، واسمك يتردد فى الاذاعة والتليفزيون والكتب التى تصدر لك .. ألا تريد ألا يحسدوك ؟

ـ ولكننى أعمل ليل نهار .. وأحرم نفسى من الكثير .. من السهرات والجلسات ..

ـ لكنهم لا يرون الا الظاهر .. اسمك فى كل مكان ، وأنت

ناجح . . .
ــ ولا يرون تلك الرقدة على ظهرى شهرين بلا حراك . . .) . . .
واذا كان الناس فى هذه الحياة لا يرون الا المظاهر البراقة ، والمناظر الخادعة ، فانهم ايضا لا يحترمون الضعيف ولا يخافون الا القوى :
(أمنيتى ألاّ أمر بهذا اليوم الذى ينظر الى الناس بعطف لأننى كهل ، ولأنهم لم يتعودوا على احترام الضعيف) . . .
وفى هذه الحياة أيضا ، حنّط الناس الحب ، وحولوه الى تمثال تتلاعب به أمواج الحياة العاتية ، واعطوه ظهورهم ، بينما انشغلوا هم عنه بالصراع والتصادم فيما بينهم :

(رأيت بلا عينين . . الحب . . وقد حنطته المخلوقات الانسانية وجعلته تمثالا فوق أمواج البحر ، ينظرون اليه بظهورهم ، ولا شاغل لهم الا التصادم والتطاحن ، يغسلون أجسادهم فى دماء الآخرين ، ويغذون تلك الاجساد الترابية بالنفاق والخداع ، وبكل الصفات المرذولة) . . .

وفى نهاية الرحلة ، أو قرب نهايتها ، وعندما يصبح الانسان مريضا عاجزا عن الحركة والدوران فى دائرة اللعبة ، يرقد ساكنا ومستسلما على خط دائرة الحياة . وعندئذ يحاول ان يجمل لحظاته الاخيرة بذكريات حياته الجميلة الكثيرة والمثيرة :
(فاذكرى كل ما كان جميلا حولك ، لكى تصبح لعبة الحياة جميلة) . . .
وهذه هى خلاصة الحياة ، وهذا هو ما تخرج به من هذه اللعبة التى تدور بنا وندور معها ، ثم تنتهى بنا الى السراب والى اللاشىء ، كل ما نصل اليه فى نهاية رحلتنا داخل الدائرة ، مجموعة من الذكريات جميلة اذا كان ما عملناه لأنفسنا وللآخرين جميلا ، وتكون مؤلمة وسيئة اذا كان ما قدمناه لأنفسنا وللآخرين مؤلما سيئا . . .
وبعد هذه الجولة السريعة ، والرحلة المحللة والمتأملة للحب

والمرأة والحياة فى اقاصيص رواية (رحلة خارج اللعبة) تبقى لنا كلمة عن الموقع الريادى الذى تحتله هذه الرواية على خريطة الادب العربى . . . ثم كلمة اخرى عن التداخل الواضح بين شخصيتى (الكاتب) والبطل ، حتى ان الناقد القريب من المؤلف ، أو حتى القارىء العادى الذى هو على صلة بالاستاذ (فتحى الابيارى) لا يستطيع أن يقول ان هذا هو (بطل) القصة الذى لا يعرفه ، أو أن هذا هو (المؤلف) (فتحى الابيارى) الذى يعرفه . . .

الكلمة الأولى عن الموقع الريادى لرواية الاقاصيص (رحلة خارج اللعبة) ، نقولها لأن ناقدا كبيرا قال فى احدى ندوات عرض وتحليل هذه الرواية بانها اول ما كتب بهذه الطريقة (فى العالم) ، وهذه العبارة تستحق أن نقف امامها ، لنرى ان كانت عبارة علمية صحيحة أم لا . . .

اننا لا نستكثر على أديبنا المجتهد والمبدع والمجدد (فتحى الابيارى) ، أن يسجل اصابة ناجحة لهدف أراده ، فحقق به سبقا ادبيا يحسب له بمداد التقدير على صفحات سجل التاريخ الادبى العربى ، خصوصا وان له اكثر من نقطة سبق وريادة لعل أشهرها واوضحها ريادته لفن (القصة القصيرة جدا) التى كان أول من بشر بها وقدم نموذجا لها . . .

لكن حبنا وتقديرنا لـ (فتحى الابيارى) ، واعترافنا بفتوحاته القصصية فى عالم الابداع الادبى ، واهتمامنا بانتاجه الغزير والمتميز الذى يعطيه مكان الريادة والأستاذية التى وصل اليها بعد تعب وعرق ومعاناة ، وتاريخه الادبى الممتد لاكثر من ربع قرن شىء ، واثباتنا للحقائق الادبية التاريخية المجردة شىء آخر تماما . .

حبنا للاستاذ (فتحى الابيارى) شعور دافق ودائم لا يؤثر فيه الزمن ، ولا يقلل منه ولا يغيره اختلاف رأى نقدى مبرر ومدروس . ودراستنا هذه فى اعماله القصصية وجهة نظر نقدية نقدمها بكل امانة واخلاص ، فنصفق له بالتقدير عندما نكتشف فى قصصه امتيازا

ومميزات ، ونصفق له احتجاجا على ما قد يتكشف لنا فى انتاجه من تعجل وقصور . . . ومن منطلق هذا الحب والتقدير لـ (فتحى الابيارى) ، واثبات الحقيقة الادبية وللامانة النقدية التى نتناول بها اعماله ، نقول بأن (فتحى الابيارى) لم يكن اول من قدم (رواية فى اقاصيص) - فى العالم - كما قال الناقد الكبير ، فبقدر ما اتيح لى الاطلاع عليه من الاعمال الروائية ، او بقدر ما قرأته فى (ببلوجرافيا) الروايات العالمية والعربية ، استطيع ان اقول ان (رحلة خارج اللعبة) تجىء فى المركز الثالث فى العالم بين الروايات التى قدمت بهذا الشكل فى طريقة كتابتها .

فعلى المستوى العالمى ، يأتى الاديب الامريكى (وليم سارويان) الذى قدم عملا روائيا ضخما عنوانه (الكوميديا الانسانية) ، وكتب عليها يصفها بأنها (رواية فى أقاصيص) أو بنص تعبيره انه قال عنها (رواية طويلة فى قصص قصيرة) . وهو فى هذه الرواية يحاول محاكاة (الكوميديا الالهية) التى قدمها (دانتى) ، مع اختلاف الموضوع والمكان والزمان والاحداث فى كل من العملين . وعلى المستوى العربى ، فان الاديب الكبير (يحيى حقى) كان أول من قدم (رواية فى اقاصيص) وهى روايته (صح النوم) التى أصدرها عام (١٩٥٥) ويستطيع قارىء هذه الرواية ان يكتفى بقراءة اقصوصة واحدة من اقاصيصها ، فيسعد بها ويرضى عنها ، لكنه فى نهاية قراءته لها يحس بشىء ما فى داخله ، يناديه للتفكير فيما قراءه ، ونداء غامض يدفعه للبحث عن بقية تكمل له الصورة التى ارتسمت منها فى خياله ، واذا به يقلب الصفحات ليطالع اقصوصة تاليۃ ، قد تبدو له وكأنها منفصلة بذاتها ، ومستقلة بموضوعها ، مبتدئة ببدايتها ومنتهية بنهايتها ، لكنها دائما تترك فى نفس قارئها رغبة عارمة لاستكمالها بطريقة او بأخرى . . .

ونعود فنقول : إن رواية (رحلة خارج اللعبة) ، حتى ولو كانت

ليست الأولى من نوعها فى العالم ، وحتى لو وضعت كاتبها ضمن

الخمسة الاوائل من ادباء العالم الذين قدموا وكتبوا هذا اللون الادبى المتميز فى شكله ، لكفاه هذا فخرا ، ولأعطاه ذلك نقطة سبق أخرى تسجل له بالاعجاب والتقدير فى سجل التاريخ الادبى كرائد من (قصص قصيرة جدا) ، وللرواية بـ (رحلة خارج اللعبة) .

وقبل ان نختتم هذه الكلمة . نحب ان نلفت نظر الادباء الشبان ، هواة المناداة بضرورة تجديد الاشكال الادبية ، والذين كثيرا ما يسيئون للادب ويحطمون قواعده ويعتدون على أساسياته ويشوهون جمالياته بدعوى التجديد ومسايرة العصر ، والذين (يبددون) طاقاتهم الابداعية الحقيقية ، دون ان يحققوا شيئا من (التجديد) الذى يسعون اليه وينادون به .

. . . الفت نظر هؤلاء المجددون الى ما يحاول أن يصل اليه الاساتذة وكبار المبدعين من تحقيق اعمال رائدة وابداعات متجددة فى مضامينها واشكالها معا ، دون الاعتداء على قواعد ومبادىء وأسس الابداع القصصى . . . ولعلنى فى غير حاجة الى عرض بعض النماذج الجديدة من (التجديد) الذى يقدمه الرواد ، لاننا لم نكد نفرغ من مثال جيد له هو هذه الرواية التى درسناها وعرضنا لها منذ قليل . كما لا أظننى أيضا بحاجة الى تقديم امثلة لبعض المحاولات العابثة والمخجلة والتى يقدم أصحابها المدعين أعمالا غامضة وانتاجا غثا مهلهلا ، ويصرون على أنها أحدث ما وصلت اليه الكتابة الادبية فى العالم ، رغم انها تبدو وكأنها لا تمت للفنون الادبية بأية صلة لا من قريب ولا من بعيد . وهذا يتطلب تكاتف النقاد والادباء الحقيقيين وتعاونهم لبيان زيفه وخداعه ، حتى لا تصبح الحديقة الادبية مساحة من الارض الخراب ، تملؤها كميات هائلة من القمامة التى يجب التخلص منها فورا ، وكميات قليلة من الزهور الصناعية التى لا رائحة لها ولا رحيق فيها ، وكمية نادرة جدا من الورود الطبيعية والحقيقية

الحية ، والتى يكاد ان يقتلها العض والزيف المحيط بها من كل جانب . . .

وسامح الله هذا الاستطراد الذى وصل بنا الى هذا المنعطف المؤلم والصعب والخطير من منعطفات حياتنا الادبية المعاصرة ، والتى هى مجرد جزء واحد من اجزاء حياتنا العامة ، والتى تحتاج الى كل جهود الشرفاء والامناء والمخلصين لتطهيرها من الشوائب والمآخذ التى تملؤها وتحيط بها ، حتى نصل آمنين مسروين الى المستقبل الافضل باذن الله . . .

واخيرا ، فان هذه الرواية ، تقدم لنا العالم الميتافزيقى الذى هو عالم (ما فوق الواقع) من خلال تلك الصور الواقعية التى ترسمها كل اقصوصة منها . انها تقدم لنا حياة ترابية مادية وواقعية ، فى موازاة الحياةالروحية السامية والمثالية ، فهى تقدم لنا الحياة فى موازاة الموت ، والجمال فى موازاة القبح ، والحب فى موازاة الكراهية ، والوفاء فى موازاة الخيانة . ويسلط الكاتب اضواء كلماته الكاشفة حتى يبين لنا الفروق الدقيقة بين عالمى الخير والشر ، فنعرف ان الحب والجمال والخير كل واحد لا يتجزأ ، كما ان البغضاء والدمامة والشر كتلة واحدة لا تنقسم ، وندرك ان عالم الحياة الحقيقية والسعيدة هو عالم الحب الصافى المبرأ من الزيف والكراهية . . . و (رحلة خارج اللعبة) لا تخلو من ملامح الصوفية التى تحيط بها من حولنا ، وتنبع منها ايضا . فما يكون مستحيلا فى عالم الواقع المادى لا يكون كذلك فى عالم الغيبيات ، وما هو غريب فى مقاييس الماديات ليس بمستغرب فى قوانين الغيب . . . ورغم استخلاص بطل الرواية لحقيقة ان (لعبة الحياة لهو وعبث لا فائدة فيه ولا طائل من ورائه) ، وهى الحقيقة التى يدركها ويؤمن بها كل الناس تقريبا ، الا ان عجلة الحياة الدائرة مازالت حافلة باللذات التى يجرى الجميع ورائها ويتسابقون على الوصول اليها والحصول عليها ، رغم تيقنهم بانهم منتهون معها الى (تراب) والى (عدم) ، وان وجودهم فيها قصير مهما طال ، رخيص مهما غلا ،

وميت مهما عاش . . .

انها رواية صوفية ، ربما كان لها اتصال بجذور التراث الدينى ، ومع ذلك فانها تلتقط صورها وتقيم بناءها الفنى على ارض من الواقعية ، وتقدم لنا شخصياتها فى اطار بسيط ، بكل ابتساماتها ودموعها ، وبهمومها الداخلية ومشاكلها مع ذاتها ومع الاخرين ومع صراعات الحياة من حولها . . . وتجمع فى مشاعر ابطالها بين عالمى الظاهر والباطن ، بين المعلوم والمعروف فى منطق الواقع المرئى لعيونهم والملموس بايديهم ، وبين المجهول والمختفى فى ستائر الغيب الذى لا يملكون اكثر من تخيله بافكارهم وتصوره بعواطفهم . . .

ولعلنا نكون قد أوفيناها بعض ما تستحقه من عرض ودراسة وتحليل فى هذه العجالة النقدية ، فى اطار اهتمامنا بالموضوع الرئيسى لدراستنا هذه ، والتى نركز فيها على الحب والمرأة والحياة فى بعض ابداعات (فتحى الابيارى) القصصية . . آملين ان نتمكن من تقديم دراسة اخرى قريبة ، نتناول فيها (الواقع والخيال) فى عالم (فتحى الابيارى) القصصى ، وهو موضوع آخر جدير بالاهتمام والقاء بعض الضوء عليه . . . ان شاء الله . . .

ملاك ميخائيل



مؤلفات فتحى الأبيارى

مجموعات قصصية

● بلا نهاية ..	دار نشر الثقافة بالاسكندرية		١٩٦٦
● قصص قصيرة جداً ..	دار الكتب الجامعية بالاسكندرية		١٩٧٢
● ترنيمة حب ..	دار الكتب الجامعية بالاسكندرية		١٩٧٣
● قصة دافيد كوبر فيلد	دار نشر الثقافة بالإسكندرية	ط أولى	١٩٦١
		ط. ثانية	١٩٧٣
● قلب الحب	(دار الشعب)		١٩٧٧
● كلمة حلوة	هيئة الكتاب		١٩٧٨
● رحلة صيد قصيرة	هيئة الكتاب		١٩٨٠
● آه يا بلد	مكتبة مدبولى		١٩٨٩
● رحلة حب	مطبوعات المستقبل		١٩٩٢
● عليه العوض	عالم القصة		١٩٩٣
● مؤلفات فتحى الأبيارى (جـ١)	هيئة الكتاب		١٩٩٢
قصص قصيرة جدا جـ١			
ترنيمة حب			
● مؤلفات فتحى الأبيارى (جـ٢)	هيئة الكتاب		١٩٩٣
رحلة صيد قصيرة			
آه يا بلد			
عليه العوض			

	(جـ٣) هيئة الكتاب	١٩٩٥
	جـ (٤)	١٩٩٦
• المرأة .. في القرآن والإسلام	تحت الطبع	
• محمد ﷺ نبع الحب	تحت الطبع	
• محمد ﷺ	هيئة قصور الثقافة	ط ١ ١٩٩٧
كتب عن المؤلف		ط ٢ ١٩٩٨
• فتحى الأبيارى (رؤية نقدية)	مطبوعات عالم القصة	١٩٨٩
• فتحى الأبيارى (الحب. المرأة. الحياة)	ملاك ميخائيل	١٩٩٦
• فتحى الأبيارى رائد الصحافة الإقليمية.. تسجيل للبرنامج التليفزيوني «رواد» بالقناة الخامسة.	مطبوعات كتاب نادى القصة بالأسكندرية	١٩٩٦
• فتحى الأبيارى (الذكرة السائبة المتدفقة)	ملف خاص بمجلة الثقافة الجديدة هيئة قصور الثقافة	١٩٩٨

رحلات

- رحلة الأحلام فى عالم الأساطير .... **(طوكيو)**
- رحلة الأحلام فى عالم العجائب .... **(تايلاند)**
- رحلة الأحلام فى عالم الغرائب .... **(هونج كونج)**
- رحلة فوق الأمواج .... **(موانى البحر المتوسط)**
- أوراق طائرة فى أوروبا الحائرة .... **(عواصم أوروبا)**

دراسات نقدية وأدبية

● محمود تيمور وفن الأقصوصة العربية	(ط ١) دار المعارف	١٩٦١
● فن القصة عند تيمور	(ط ١) دار المعارف	١٩٦٤
● عالم تيمور القصصى	(ط٢) هيئة الكتاب	١٩٧٧
● عالم تيمور القصصى	(ط٣) هيئة الكتاب	١٩٩٤
● الجنس والواقعية فى القصة	هيئة الكتاب	١٩٦٦
● أدباؤنا والحب	(ط١) دار الشروق	١٩٧٣
	(ط٢) دار المعارف	١٩٩٥
● نبضات القلوب وأدباء الأقاليم	دار الشعب	١٩٧١
● عشرة آلاف خطوة مع الحكيم	هيئة الكتاب	١٩٨٧
● الأم فى الأدب	(ط١) الدار المصرية	١٩٦٦
● الأم حكايات وقصص	(ط٢) كتاب أخبار اليوم	١٩٧٠
● الأم حكايات وقصص	(ط٣) هيئة الكتاب	١٩٩١
● الأم حكايات وقصص	(ط٤) هيئة الكتاب	١٩٩٤

روايات

● رحلة خارج اللعبة	مطبوعات عالم القصة (ط١)	١٩٧١
● رحلة خارج اللعبة	هيئة الكتاب (ط٢)	١٩٨٢
● رحلة خارج اللعبة (الترجمة الإنجليزية)	هيئة الكتاب	١٩٩٢
● أرنب كالآخرين	(تحت الطبع)	
● رحلات حب سرية	مجلة الثقافة	١٩٧٨
● رحلة ٤٦ (رحلة حب)	مطبوعات المستقبل	١٩٩٢
● ميريلاند	تحت الطبع	
● الديك	تحت الطبع	

دراسات صحفية وسياسية

● الرأى العام والمخطط الصهيونى	المجلس الأعلى للشئون الإسلامية	١٩٦٩
● الصحافة الاقليمية والتنظيم السياسى	دار الكتب الجامعية بالإسكندرية	١٩٦٩
● القهيلا	هيئة الكتاب	١٩٧٠
● الصهيونية	دار المعارف (كتابك)	١٩٧٧
● اكتوبر والـ ١٠٠ يوم من أجل السلام	الاستعلامات	١٩٧٦
● صحافتنا الاقليمية والاسكندرية	هيئة الكتاب	١٩٧٦
● صحافة المستقبل والتنظيم السياسى	دار المعرفة بالاسكندرية	١٩٨٥
● الإعلام والرأى العام والقهيلا	دار المعرفة الجامعية بالاسكندرية	١٩٨٥
● الإعلام الدولى والدعاية	(ط١) دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية	١٩٨٥
	(ط٢) دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية	١٩٨٦
● فن الدعاية	هيئة الكتاب	١٩٨٩
● نحو إعلام دولى جديد	هيئة الكتاب	١٩٩٠

كتب فى *الفكر* الإسلامى

● السيدة نفيسة (رضى الله عنها)	منتصر للنشر	١٩٨٩
● فى ضيافة الرحمن	دارالصفوة	١٩٩٢
● موسوعة «المحمديات»	(جـ١) هيئة الكتاب	١٩٩٤
	(جـ٢) هيئة الكتاب	١٩٩٥

ملاك ميخائيل

● ملاك ميخائيل شنوده

● حصل على جائزة الدولة للأدباء الشبان فى عيد العلم والثقافة (اكتوبر ١٩٧٩) .

● حصل على الجائزة الأولى وميدالية د. طه حسين الذهبية للقصة القصيرة من نادى القصة بالقاهرة عامى ١٩٧٦ ، ١٩٧٨ .

● حصل على الجائزة الأولى للشعر من الادارة العامة للثقافة الجماهيرية على مستوى مصر عام ١٩٨٧ .

● حصل على الكثير من الجوائز الأولى فى القصة القصيرة والشعر فى المسابقات الأدبية لجامعة الاسكندرية ، ونادى القصة بالاسكندرية ، ومديرية الثقافة .

● أصدر ثلاث مجموعات قصصية وهى (لؤلؤة من الأعماق) و (التصادم) و (يحدث لكل الناس) . .

● عضو مجلس ادارة نادى القصة بالاسكندرية .

رقم الإيداع ٢٠٠١/١٦٠٦